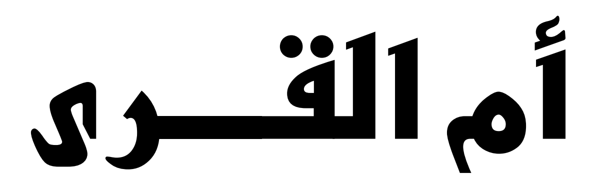


أم القـــرى

في مدح خيـر الورى

"القصيدة الهمزية"

لناظمها الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حماد البوصيري

(607-696هـ)

تحقيق وتعليق

الشيخ محمد الشاذلي النيفر

إصدار

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية — فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

العَلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بإنكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وجابههم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب غرس الإيمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبهُ إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار ﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه)، يعد هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بين أن المرء لا يتلذذ بالطاعة ويبذل جهده في رضا الله ورسوله إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأمرين الآخرين.

وأشار إلى مدخلية محبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كل منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه) قال القاضي عياض: "من محبته نصرة سنته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على كل والد وولد، ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن".

ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإيثار محبته صلى الله عليه وآله وسلم على كل محبة حَبَّر الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا همزيته بالثناء، فقد وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها حتى الإمام البرهان القيراطي (781) فإنه مع جلالته وتضلعه ... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب. وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها...)

انفردت الهمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفراداً ممتازاً فهي تبرز من السيرة النبوية وجها يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في قالب بديع من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، مما يجول بالنفس في جو يدعو إلى محبته صلى الله عليه وآله وسلم التي هي من كمال الإيمان، بل أُسّ الإيمان كما صرح به الحديثان المتقدمان حبانا الله حبه والعمل الصادق في خدمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

من حياة البوصيري

أبو عبد الله محمد بن سعيد الصِّنهاجي البوصيري المصري شرف الدين ولد سنة (608).

يعد الإمام البوصيري حسنة من حسنات أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي (686) الواصل إلى الله والمُوصل إليه.

وممن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنه بعد أن اشتغل بالوظيف سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العباس، والشيخ أبو العباس أخذ عن الولي الشهير أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن الشيخ الولي الصالح عبد السلام بن مشيش وكان الشيخ ابن عطاء الله رفيقا له في السلوك على يد أبي العباس المرسي وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبة النبوية فتمثلت في ذاته تلك المحبة النبوية وأراد تحقيقها في النفوس فنظم قصائد عدة في المدح النبوي وكل قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاص.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العميمة وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء وهي ذات امتياز كما قدمنا وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيتمي الشهير بابن حجر (974) وهو شرح جليل طرق فيه بحوثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمة.

وقد اعتني بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلاً.

وقد انتفعت بهذه التحريرات في تعليقي هذا على الهمزية.

وما ذكرته من أشهر شروحها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسماها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم، ورد عليهم رد دارس للتوراة والإنجيل، مطلعها:

جــاء المــسيح مــن الإلــه رسـولا ... فـــأبى أقـــل العـــالمين قبـــولا

وعلق عليها ناظمها تعليقاً أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذب عن الجانب النبوي الشريف ذب محب صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى، وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع.

وفاته:

ذكر المقريزي أنه توفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، لكن الحافظ ابن حجر صوب أنه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة. رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائق.

أنظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ج3ص362) والوافي بالوفيات للصفدي (ج3ص105).

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير

سيدي محمد الشاذلي النيفر

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث التحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد مصره الشيخ المعمر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي الأشعري الجلد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النقّاعة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد حفظه الله ورعاه في سنة 1325 هجري الموافق له 1908 رومي كما أقره هو بنفسه وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس. وكانت ولادته في مدينة تونس المحمية حماها الله وحرسها من كل بليّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محط أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سن مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من أجازه في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة فقرأ عليه عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ودروس حديثية أخرى وبه تخرج بهذا الفن وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لإبن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقه والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشرى، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تدرس في الجامع المعمور على جلّة من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل فدخل بلاد الشام فلسطين لبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس. ثم دخل العراق وبلاد ا لحجاز، حاجاً ومعتمراً عشرات المرات بل له سنة متبعة في ذلك ما تخلف عنها إلا في سنينه الأخيرة وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل الباكستان والهند، وبلاد شرق آسيا مثل اندونيسيا ودرّس فيها وبلاد البوسنة والهرسك وذلك رغبة وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفع.

تدريسه:

درّس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقه، وخاصة شرح الدردير على سيدي خليل، والتفسير بشرح الجلالين، ودرّس في الصادقية وترشيح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيوخه من تونس:

1- والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.

2- شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.

3- قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.

4- العلامة الشيخ الحطاب بوشناق.

5- العلامة محمد العربي الماجري.

6- العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.

7- شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

1- العالم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس.

2- الشيخ محمد الحجوي.

3- الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسنى.

شيوخه من بلاد الحجاز:

1- محدث الحرمين الشريفين المسند العلامة والحبر الفهامة سيدي عمر حمدان المحرسي.

2- الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التّآليف العديدة والأقوال السديدة.

3- مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله.

وغيرهم كثير وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

مؤلّفاته:

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعضٌ منها:

1- رسالة في التجنس.

2- باردو المنتزه مدينة الملك.

3- مناقب محرز بن خلف.

4- رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.

5- رسالة في تحريم الخمر.

وأخرج كثيراً من نفائس المخطوطات وحققها مثل:

1- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.

2- قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت وعليه فوائد كثيرة من تحقيقاته.

3- أمّ القرى في مدح خير الوري.

4- الشقراطسيّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5- مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي زاد فيه ترجمة والده.

6- إصابة الغرض وإزالة الشبهة عمن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يسّر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس وأهم ما في هذا الديوان النبويات وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليـــــك رســــول الله أرفـــــع حـــــاجتي فهـــذه الكـــروب قـــد أحاطـــت بـــساحتي

وإنـــــي راج قـــــد وقفـــــت ببـــــابكم وإن رجـــــائي فـــــي إزالـــــة كربتـــــي

قاله أثناء مرضه بالتيفوئيد وهو ابن خمسة عشر سنة فبرء.

وخرج أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه "دراسات" ذكروا فيه كثيراً من مناقب الشيخ وهو خاص به.

خصائصه:

امتاز شيخنا بخلق حضاري رفيع المستوى قل نظيره ، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر ويبذل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره وأنتفع بطول عمره غاية الإنتفاع كما جاء في الحديث. فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه أمين.

وفاته:

بعدما تم دراسة وتحقيق الصلاة المشيشة للقطب سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي وذلك على يد مولانا الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بمساعدة الفقير إلى ربه العلامة أحمد بن منصور قرطام دخل الشيخ رحمه الله مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس وذلك إثر نوبة صدرية حادة وادخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وذلك يوم الخميس على الساعة 4.30 صباحاً 4 شعبان 1418هجري الموافق له 1997/12/4 رومي ووقف على تغسيله العبد الفقير العلامة أحمد بن منصور قرطام بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدين آخرين قاما بمشاركته وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الجلاز حيث مثواه الأخير وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418هـ الموافق له 1997/12/4 مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور عدد حاشد من الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومثقفين وسفراء كثر من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن وأندونيسيا وماليزيا وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الجلاز صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي وابْنهُ وزير الشؤون الدينية على الشابي وقام بدفنه رحمه الله كل من ابناءه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير العلامة أحمد منصور قرطام إلى أن تم موارته تحت الثرى وتلقينه تغمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين كل خير وبذلك قد فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن ولله الأمر من قبل ومن بعد وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية

27 رمضان 1428هجري الموافق له 8 أكتوبر 2007 رومي.

أم القرى في مدح خير الورى

(القصيدة الهمزية)

سمّو المقام النّبوي

كَيْـــفَ تَرْقَـــى رُقِيَّـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ ... يَـــا سَـــمَاءً مَـــا طَاوَلَتْهَـــا سـَــمَاءُ[1]

لَـــمْ يُـــسَاوُوكَ فِـــي عُـــلاَكَ وَقَـــدْ حَـــا ... لَ سَـــنًا مِنْـــكَ دُونَهُـــمْ وَسَـــنَاءُ[2]

إِنَّمَـــا مَثَّلُـــوا صِـــفَاتِكَ لِلنَّـــا ... سِ كَمَـــا مَثَّـــلَ النُّجُـــومَ الْمَـــاءُ[3]

أَنْـــتَ مِـــصْبَاحُ كُـــلِّ فَـــضْلٍ فَمَـــا تَـــصْـ ... ـــدُرُ إِلاَّ عَـــنْ ضَـــوْئِكَ الأَضْـــوَاءُ[4]

لَـــكَ ذَاتُ الْعُلُـــومِ مِـــنْ عَـــالِمِ الْغَيْـــ ... ـــبِ وَمِنْهَـــا لآدَمَ الأَسْـــمَاءُ[5]

نسبهُ وميـــلادهُ

لَـــمْ تَـــزَلْ فِـــي ضَـــمَائِرِ الْكَـــوْنِ تُخْتَـــا ... رُ لَـــكَ الأُمَّهَـــاتُ وَالآبَـــاءُ[6]

مَـــا مَـــضَتْ فَتْـــرَةٌ مِـــنَ الرُّسْـــلِ إِلاَّ ... بَـــشَّرَتْ قَوْمَهَـــا بِـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ[7]

تَتَبَـــاهَى بِـــكَ الْعُـــصُورُ وَتَـــسْمُو ... بِـــكَ عَلْيَـــاءُ بَعْـــدَهَا عَلْيَـــاءُ[8]

وَبَـــدَا لِلْوُجُـــودِ مِنْـــكَ كَـــرِيمٌ ... مِـــنْ كَـــرِيمٍ آبَـــاؤُهُ كُرَمَـــاءُ[9]

نَـــسَبٌ تَحْـــسِبُ الْعُـــلاَ بِحُـــلاَهُ ... قَلَّـــدَتْهَا نُجُومَهَـــا الْجَـــوْزَاءُ[10]

حَبَّـــذَا عِقْـــدُ سُـــؤْدَدٍ وَفَخَـــارٍ ... أَنْـــتَ فِيـــهِ الْيَتِيمَـــةُ الْعَـــصْمَاءُ[11]

---

(1) كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رُقيك الأنبياء، ويا سماء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.

(2) أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.

(3) ومعنى هذا البيت أن الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كتمثيل الماء للنجوم.

(4) ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.

(5) يفيد هذا البيت أن آدم علِم الأسماء وأنت علِمت الأسماء والمسميات.

(6) فكما طابت ذاته طاب نسبه.

(7) أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(8) تتباهي بك العصور: تفتخر.

(9) وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.

(10) فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدتها الجوزاء حلاها.

(11) معناه: نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.

وَمُحَيّاً كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ(12)

لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الذِي كَانَ لِلدِّيـ ـنِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ(13)

وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءُ(14)

وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَولاَ آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ(15)

وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ كُرْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبَلاَءُ(16)

وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا نَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ(17)

مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْـ ـرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمُ وَوَبَاءُ(18)

فَهَنِيئاً بِهِ لآمِنَةَ الْفَضْـ ـلُ الذِي شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ(19)

مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَحْـ ـمَدَ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءُ(20)

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ(21)

وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ(22)

شَمَّتَتْهُ الأَمْلاَكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا الشَّفَّاءُ(23)

رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْـ ـعِ إِلَى كُلِّ سُؤْدَدٍ إِيمَاءُ(24)

---

(12) ومحيا معطوف على عقد، أي حبذا محيا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.

(13) فليلة المولد ليلة شرُفت بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.

(14) أفاد أنه تتابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(15) ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.

(16) ومن آيات الميلاد خمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.

(17) ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم أن عيون الماء غارت.

(18) ومنها أن هذا المولود دل على وبال الكفر.

(19) ثم هنأ أمهُ بالفضل الذي حصل لها وثبت، وهي آمنة بنت وهب.

(20) ثم إن حواء وان اشتركت مع آمنة في الشرف فآمنة أشرف.

(21) وقد نالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النساء.

(22) وأتت آمنة قومها بأفضل مما ولدته مريم وهو عيسى عليه السلام.

(23) شمتته الملائكة: قالت له رحمك الله، والشفاء قابلتهُ، وهي أم عبد الرحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنة، وقولها ما أخرجه أبو نعيم وخلاصته إرهاصات ميلاده.

(24) أفاد أن رفع النبي رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعته وسيادته.

رَامِقــــاً طَرْفُـــهُ الـــسَّمَاءَ وَمَرْمَـــى عَـــيْنِ مَـــنْ شَـــأْنُهُ الْعُلُـــوُّ الْعَـــلاَءُ(25)
وَتَـــدَلَّتْ زُهْـــرُ النُّجُـــومِ إِلَيْـــهِ فَأَضَـــاءَتْ بِـــضَوْئِهَا الأَرْجَـــاءُ(26)
وَتَـــرَاءَتْ قُـــصُورُ قَيْـــصَرَ بِـــالرُّو مِ يَرَاهَـــا مَـــنْ دَارُهُ الْبَطْحَـــاءُ(27)

رضاعه وعجائبه

وَبَـــدَتْ فِـــي رَضَـــاعِهِ مُعْجِـــزَاتٌ لَـــيْسَ فِيهَـــا عَـــنِ الْعُيُـــونِ خَفَـــاءُ(28)
إِذْ أَبَتْـــهُ لِيُتْمِـــهِ مُرْضِـــعَاتٌ قُلْـــنَ مَـــا فِـــي الْيَتِـــيمِ عَنَّـــا غَنَـــاءُ(29)
فَأَتَتْـــهُ مِـــنْ آلِ سَـــعْدٍ فَتَـــاةٌ قَـــدْ أَبَتْهَـــا لِفَقْرِهَـــا الرُّضَـــعَاءُ(30)
أَرْضَـــعَتْهُ لِبَانَهَـــا فَـــسَقَتْهَا وَبَنِيهَـــا أَلْبَـــانَهُنَّ الـــشَّاءُ(31)
أَصْـــبَحَتْ شُـــوَّلاً عِجَافـــاً وَأَمْـــسَتْ مَـــا بِهَـــا شَـــائِلٌ وَلاَ عَجْفَـــاءُ(32)
أَخْـــصَبَ الْعَـــيْشُ عِنْـــدَهَا بَعْـــدَ مَحْـــلٍ إِذْ غَـــدَا لِلنَّبِـــيِّ مِنْهَـــا غِـــذَاءُ(33)
يَـــا لَهَـــا مِنَّـــةٌ لَقَـــدْ ضُـــوعِفَ الأَجْـــ ـــرُ عَلَيْهَـــا مِـــنْ جِنْـــسِهَا وَالْجَـــزَاءُ(34)
وَإِذَا سَـــخَّرَ الإِلَـــهُ أُنَاســـاً لِـــسَعِيدٍ فَـــإِنَّهُمْ سُـــعَدَاءُ(35)
حَبَّـــةٌ أَنْبَتَـــتْ سَـــنَابِلَ وَالْعَـــصْـ ـــفُ لَدَيْـــهِ يَسْتَـــشْرِفُ الـــضُّعَفَاءُ(36)

---

(25) وفي وضعه وبصره ناظر إلى السماء إشارة إلى أنه لا يقصد إلا أعلى المراتب.

(26) وحين وضعهِ تدلت ودنت النجوم المضيئة فأضاءت بضوئها نواحي السماء.

(27) ومن آيات ميلاده أن قصور قيصر ريئت فرآها من داره بمكة.

(28-30) ابتدأ من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنه ظهرت برضاعه معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة، ويسمى ما قبل البعثة: إرهاصاً، وبعدها: معجزة، وقد أبته المرضعات ليتمه، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيماً لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءته من آل سعد فتاة هي حليمة السعدية وأرضعته.

(31) ومن كرامة هذا المولود أن حليمة بعدما كانت في جدب سقتها الشاء وهي جمع شاة.

(32) ومن كرامته أيضاً أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمست ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.

(33) الخصب ضد الجدب. ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجدب عند حليمة، وخصوبة العيش كثرة القوت، والمحل: شدة الجدب وانقطاع المطر.

(34) قد تعجب من منة حليمة بالإرضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المحل.

(35) وإذا وفق الله أناساً لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.

(36) وشبه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبذورة التي تضاعف إنتاجها والعصف الورق اليابس.

وَأَتَـــــتْ جَـــــدَّهُ وَقَـــــدْ فَـــــصَلَتْهُ وَبِهَـــا مِـــنْ فِـــصَالِهِ الْبُرَحَـــاءُ[37]

إِذْ أَحَاطَــــتْ بِــــهِ مَلاَئِكَــــةُ اللـــــ ـــــهِ فَظَنَّــــتْ بِــــأَنَّهُمْ قُرَنَــــاءُ[38]

وَرَأَى وَجْــــدَهَا بِــــهِ وَمِــــنَ الْوَجْــــ ـــدِ لَهِيــــبٌ تَــــصْلَى بِــــهِ الأَحْــــشَاءُ[39]

فَارَقَتْــــهُ كَرْهــــاً وَكَــــانَ لَــــدَيْهَا ثَاوِيــــاً لاَ يُمَــــلُّ مِنْــــهُ الثَّــــوَاءُ[40]

شُــــقَّ عَــــنْ قَلْبِــــهِ وَأُخْــــرِجَ مِنْــــهُ مُــــضْغَةٌ عِنْــــدَ غَــــسْلِهِ سَــــوْدَاءُ[41]

خَتَمَتْــــهُ يُمْنَــــى الأَمِــــينِ وَقَــــدْ أُو دِعَ مَــــا لَــــمْ تُــــذَعْ لَــــهُ أَنْبَــــاءُ[42]

صَــــانَ أَسْــــرَارَهُ الْخِتَــــامُ فَــــلاَ الْفَــــ ـــضُّ مُلِــــمٌّ بِــــهِ وَلاَ الإِفْــــضَاءُ[43]

نشأته في حال طفولته وما بعدها

أَلِــــفَ النُّــــسْكَ وَالعِبَــــادَةَ وَالخَلْــــ وَةَ طِفْــــلاً وَهَكَــــذَا النُّجَبَــــاءُ[44]

وَإِذَا حَلَّــــتِ الْهِدَايَــــةُ قَلْبــــاً نَــــشِطَتْ لِلْعِبَــــادَةِ الأَعْــــضَاءُ[45]

حجب الشياطين عند دنوّ البعثة

بَعَــــثَ اللهُ عِنْــــدَ مَبْعَثِــــهِ الــــشُّهْ ـــبَ حِرَاســــاً وَضَــــاقَ عَنْهَــــا الْفَــــضَاءُ[46]

تَطْــــرُدُ الجِــــنَّ عَــــنْ مَقَاعِــــدَ لِلــــسَّمْ ـــعِ كَمَــــا تَطْــــرُدُ الــــذِّئَابَ الرِّعَــــاءُ[47]

فَمَحَــــتْ آيَــــةَ الْكَهَانَــــةِ آيَــــا تٌ مِــــنَ الْــــوَحْيِ مَــــا لَهُــــنَّ امِحَــــاءُ[48]

---

(37) وحين أرجعته لجده كان وحدها لفراقه التألم الكثير وهو البُرحَاء.

(38) وأرجعته لجده حين خافت عليه عندما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.

(39) ورأى جده عبد المطلب شدة وجدها ومحبتها له فرده لها وهذا في المرة الأولى.

(40) وحين ردته حليمة المرة الثانية خوفاً عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها جده ففارقته كُرها.

(41) لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره وإخراج مضغة سوداء منه، والمضغة قطعة لحم قدّرَ ما يمضغ.

(42) ثم بعد شق صدره لأمَتْهُ وأعادته يمنى الأمين أي جبريل وأودع فيه ما لم تحط به أخبار.

(43) حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

(44) وقد أثر شق قلبه فألف العبادة والخلوة وهكذا النجباء.

(45) وإنما كان هذا شأن النجباء لأن الهداية إذا حلت القلب نشطت الأعضاء.

(46) لما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحرست السماء بالشهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النار تنفصل من الكواكب تحرق الشيطان.

(47) وهذه الشهب تطرد الجن الذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السمع كما يطرد الرعاة الذئاب العادية.

(48) وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها المحو.

وَرَأَتْـــــهُ خَدِيجَـــــةٌ وَالتُّقَـــــى وَالــــــ ـــــزُّهْدُ فِيـــهِ سَـــجِيَّةٌ وَالْحَيَـــاءُ(49)

وَأَتَاهَـــا أَنَّ الْغَمَامَـــةَ وَالـــــسَّرْ حَ أَظَلَّتْـــهُ مِنْهُمَـــا أَفْيَـــاءُ(50)

وَأَحَادِيـــــثُ أَنَّ وَعْـــدَ رَسُـــولِ اللهِ بِالْبَعْـــثِ حَـــانَ مِنْـــهُ الْوَفَـــاءُ(51)

فَدَعَتْـــهُ إِلَـــى الـــزَوَاجِ وَمَـــا أَحْـــ ـــسَنَ مَـــا يَبْلُـــغُ الْمُنَـــى الأَذْكِيَـــاءُ(52)

وَأَتَـــاهُ فِـــي بَيْتِهَـــا جَبْرَئِيـــلُ وَلِـــذِي اللُّـــبِّ فِـــي الأُمُـــورِ ارْتِيَـــاءُ(53)

فَأَمَاطَـــتْ عَنْهَـــا الخِمَـــارَ لِتَـــدْرِي أَهُـــوَ الْـــوَحْيُ؟ أَمْ هُـــوَ الإِغْمَـــاءُ(54)

فَـــاخْتَفَى عِنْـــدَ كَـــشْفِهَا الـــرَّأسَ جِبْرِيـــ ـــلُ فَمَـــا عَـــادَ أَوْ أُعِيـــدَ الغِطَـــاءُ(55)

فَاسْـــتَبَانَتْ خَدِيجَـــةٌ أَنَّـــهُ الْكَنْـــ ـــزُ الـــذِي حَاوَلَتْـــهُ وَالكِيمْيَـــاءُ(56)

الجِدّ في نشر الدَعوة

ثُـــمَّ قَـــامَ النَّبِـــيُّ يَـــدْعُو إِلَـــى اللَّـــهِ وَفِـــي الْكُفْـــرِ نَجْـــدَةٌ وَإِبَـــاءُ(57)

أُمَمـــاً أُشْـــرِبَتْ قُلُـــوبُهُمُ الْكُفْـــ ـــرَ فَـــدَاءُ الـــضَّلاَلِ فِـــيهِمْ عَيَـــاءُ(58)

وَرَأَيْنَـــا آيَاتِـــهِ فَاهْتَـــدِيْنَا وَإِذَا الْحَـــقُّ جَـــاءَ زَالَ الْمِـــرَاءُ(59)

(49) أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سجاياه الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(50) أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

1- أن الغمامة أظلته، والغمامة هي السحابة.

2- أن السرح وهي الشجر العظام أظلته حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

(51) وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

(52) وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذكائها ما تمنته وأمَلَتهُ.

(53) ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحبت أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين علم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار.

(54) وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الخمار وهو ما يغطى به الرأس لتشاهد وبذلك تتبين أنه وحي لا إغماء.

(55) واختفى جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

(56) وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.

(57) جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى: "يأيها المدثر قم فأنذر".

(58) أمماً: مفعول يدعو، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه.

(59) أشار في هذا البيت إلى أمة الإجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد.

رَبِّ إِنَّ الْهُـــــدَى هُــــــدَاكَ وَآيَـــــا   تِــكَ نُـــورٌ تَهْــدِي بِهَـــا مَــنْ تَــشَاءُ(60)

كَــمْ رَأَيْنَـــا مَـــا لَـــيْسَ يَعْقِـــلُ قَـــدْ أُلْ   هِـــمَ مَـــا لَـــيْسَ يُلْهَـــمُ الْعُقَـــلاَءُ(61)

إِذْ أَبَـــى الْفِيـــلُ مَـــا أَتَـــى صَـــاحِبُ الْفِيـــ   ـــلِ وَلَـــمْ يَنْفَـــعِ الْحِجَـــا وَالـــذَّكَاءُ(62)

وَالْجَمَـــــادَاتُ أَفْـــصَحَتْ بِالَـــذِي أُخْـــ   ـــرِسَ عَنْـــهُ لأَحْمَـــدَ الْفُـــصَحَاءُ(63)

وَيْـــحَ قَـــوْمٍ جَفَـــوْا نَبِيّـــاً بِـــأَرْضٍ   أَلِفَتْـــــهُ ضِـــــبَابُهَا وَالظِّبَـــــاءُ(64)

الهجرة

وَسَـــــلَوْهُ وَحَـــنَّ جِـــذْعٌ إِلَيْـــهِ   وَقَلَـــــوْهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَـــــاءُ(65)

أَخْرَجُـــــوهُ مِنْهَـــــا وَآوَاهُ غَـــــارٌ   وَحَمَتْـــــهُ حَمَامَـــــةٌ وَرْقَـــــاءُ(66)

وَكَفَتْـــــهُ بِنَـــــسْجِهَا عَنْكَبُـــــوتٌ   مَـــا كَفَتْـــهُ الْحَمَامَـــةُ الْحَـــصْدَاءُ(67)

وَاخْتَفَـــى مِـــنْهُمُ عَلَـــى قُـــرْبِ مَـــرْآ   هُ وَمِـــنْ شِـــدَّةِ الظُّهُـــورِ الْخَفَـــاءُ(68)

وَنَحَـــى الْمُـــصْطَفَى الْمَدِينَـــةَ وَاشْـــتَا   قَـــتْ إِلَيْـــهِ مِـــنْ مَكَّـــةَ الأَنْحَـــاءُ(69)

وَتَغَنَّـــتْ بِمَدْحِـــهِ الْجِـــنُّ حَتَّـــى   أَطْـــرَبَ الإِنْـــسَ مِنْـــهُ ذَاكَ الْغِنَـــاءُ(70)

وَاقْتَفَـــى إِثْـــرَهُ سُـــرَاقَةُ فَاسْتَهْـــ   وَتْـــهُ فِـــي الأَرْضِ صَـــافِنٌ جَـــرْدَاءُ(71)

---

(60) الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيئته.

(61) ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء.

(62) وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة.

(63) وكذلك حين امتنعت قريش من الإيمان أفصح الجماد كالجذع الذي حن إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

(64) أهلك الله القوم الذين جفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه ألفه الضب والغزال وحديثهما لا أصل لهما.

(65) وسلا عنه قومه وحن إليه الجذع الذي يستند إليه حين يخطب وأبغضوه وأحبه الغرباء وهم الأنصار: الأوس والخزرج الذين لقوه قبل الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبات الثلاث.

(66) وحين أذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة خرج من مكة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في فم الغار حمامتان.

(67) وكما حمته الحمامتان كذلك حمته العنكبوت بنسيجها والحمامة الحصداء كثيرة الريش.

(68) ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور الخفاء لعناية الله به وكان مكثه في الغار ثلاث ليال.

(69) قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين غرة ربيع الأول (13سبتبمر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول (20 سبتمبر) وكانت مدة سفره ثمانية أيام.

(70) وتغنت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

(71) واتبع أثره سراقة بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثم قام فركبها فدعا عليه صلى الله عليه =

ثُـــمَّ نَـــادَاهُ بَعْـــدَمَا سِـــيمَتِ الْخَـــسْـــــــفَ وَقَـــدْ يُنْجِـــدُ الْغَرِيـــقَ النِّـــدَاءُ(72)

الإسراء والمعراج

فَطَـــوَى الأَرْضَ سَـــائِراً والـــسَّمَوَا تُ العُـــلاَ فَوْقَهَـــا لَـــهُ إِسْـــرَاءُ(73)

فَـــصِفِ اللَّيْلَـــةَ التِـــي كَـــانَ لِلْمُخْـــتَارِ فِيهَـــا عَلَـــى البُـــرَاقِ اسْـــتِوَاءُ(74)

وَتَرَقَّـــى بِـــهِ إِلَـــى قَـــابِ قَوْسَيْـــنِ وَتِلْـــكَ الـــسِّيَّادَةُ الْقَعْـــسَاءُ(75)

رُتَـــبٌ تَـــسْقُطُ الأَمَـــانِيُّ حَـــسْرَى دُونَهَـــا مَـــا وَرَاءَهُـــنَّ وَرَاءُ(76)

ثُـــمَّ وَافَـــى يُحَـــدِّثُ النَّـــاسَ شُـــكْراً إِذْ أَتَتْـــهُ مِـــنْ رَبِّـــهِ النَّعْمَـــاءُ(77)

التبليغ والدعاء إلى الله

وَتَحَـــدَّى فَارْتَـــابَ كُـــلُّ مُرِيـــبٍ أَوَ يَبْقَـــى مَـــعَ الـــسُّيُولِ الْغُثَـــاءُ(78)

وَهْـــوَ يَـــدْعُو إِلَـــى الإِلَـــهِ وَإِنْ شَـــقَّ عَلَيْـــهِ كُفْـــرٌ بِـــهِ وَازْدِرَاءُ(79)

وَيَـــدُلُّ الْـــوَرَى عَلَـــى اللهِ بِـــالتَّوْحِيـــدِ وَهْـــوَ الْمَحَجَّـــةُ الْبَيْـــضَاءُ(80)

= وآله وسلم فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

(72) وحين خسفت الأرض بفرس سراقة استنجد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأن الغريق ينجده النداء.

(73) تحدث على الإسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلى الله عليه وآله وسلم الأرض والسموات حين الإسراء والمعراج، والمعاريج عشرة.

(74) أمر الناظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء إلى ما شاء الله، وكان الإسراء والمعراج بالجسم والروح.

(75) وقرب صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وشبه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين أخره وهو المحل الذي يربط فيه الوتر.

(76) ونوه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأماني.

(77) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الإسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه بما أزال كل شيء.

(78) وتحدى كفار مكة بالإسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حجتهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغثاء وهو ما يحمله السيل من النبات.

(79) تحدى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الإنكار من الكفر والاستهزاء. وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(80) وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعاً وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لاَنَتْ ... صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَّاءُ(81)
وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ ... بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ(82)
وَأَطَاعَتْ لأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ ... بَاءُ والْجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ(83)
وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيَةُ الكُبْـ ... ـرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ(84)
وَإِذَا مَا تَلاَ كِتَاباً مِنَ اللهِ ... تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ(85)

كفاية الله تعالى له

وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَا ... ءَ نَبِيّاً مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ(86)
وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِنَاءِ ... الْبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ(87)
خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءٍ ... والرَّدَى مِنْ جُنُودِهِ الأَدْوَاءُ(88)
فَدَهَى الأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ ... عَمىً مَيِّتٌ بِهِ الأَحْيَاءُ(89)
وَدَهَى الأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ ... أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّدَى اسْتِسْقَاءُ(90)
وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدْشَةُ سَهْمٍ ... قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ(91)
وَقَضَتْ شَوْكَةٌ عَلَى مُهْجَةِ الْعَا ... صِي فَلِلَّهِ النَّقْعَةُ الشَّوْكَاءُ(92)

---

(81) وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(82) وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً استجابت لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

(83) وأطاعت أي استجاب له العرب العرباء وهم الخلص والجاهلية الجهلاء.

(84) وتوالت وتتابعت له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيطة بهم.

(85) وإذا تلا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.

(86) وكفاه ربه تعالى الذين اشتدت إذايتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.

(87) وأصابهم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.

(88) وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.

(89) ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مُطلب بن أسد العمى الذي أهلكه.

(90) كما دهى الأسود بن عبد يغوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.

(91) وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات وهذه الخدشة أشد من السُم.

(92) وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخمص رجله فمات بسببها.

وعَلَـــى الحَـــارِثِ القُيُـــوحُ وَقَـــدْ سَـــا ... لَ بِهَـــا رَأسُـــهُ وَسَـــاءَ الوِعَـــاءُ[93]

خَمْـــسَةٌ طُهِّـــرَتْ بِقَطْعِهِـــمُ الأَرْ ... ضُ فَكَـــفُّ الأذَى بِهِـــمْ شَـــلاَّءُ[94]

نقض الصحيفة

فُـــدِيَتْ خَمْـــسَةُ الـــصَّحِيفَةِ بِالخَمْـــ ... ـــسَةِ إنْ كَـــانَ بِـــالكِرَامِ فِـــدَاءُ[95]

فِتْيَـــةٌ بَيَّتُـــوا عَلَـــى فِعْـــلِ خَيْـــرٍ ... حَمِـــدَ الـــصُّبْحُ أَمْـــرَهُمْ وَالمَـــسَاءُ[96]

يَـــالَ أمْـــرٍ أَتَـــاهُ بَعْـــدَ هِـــشَامٍ ... زَمْعَـــةٌ إنَّـــهُ الفَتَـــى الأَتَّـــاءُ[97]

وَزُهَيـــرٌ وَالمُطْعِـــمُ بْـــنُ عَـــدِيٍّ ... وَأَبُـــو البُخْتُـــرِيِّ مِـــنْ حَيْـــثُ شَـــاءُوا[98]

نَقَـــضُوا مُبْـــرَمَ الـــصَّحِيفَةِ إذْ شَـــ ... ـــدَّتْ عَلَـــيْهِمْ مِـــنَ العِـــدَا الأَنْـــدَاءُ[99]

أَذْكَرَتْنَـــا بِأَكْلِهَـــا أَكْـــلَ مِنْـــسَا ... ةِ سُـــلَيْمَانَ الأَرْضَـــةُ الخَرْسَـــاءُ[100]

وَبِهَـــا أَخْبَـــرَ النَّبِـــيُّ وَكَـــمْ أَخْـــ ... ـــرَجَ خَبْئًـــا لَـــهُ الغُيُـــوبُ خِبَـــاءُ[101]

عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

لاَ تَخَـــلْ جَانِـــبَ النَّبِـــيِّ مُـــضَاماً ... حِـــينَ مَـــسَّتْهُ مِـــنْهُمُ الأَسْـــوَاءُ[102]

كُـــلُّ أَمْـــرٍ نَـــابَ النَّبِيِّـــينَ فَالـــشِّـ ... ـــدَّةُ فِيـــهِ مَحْمُـــودَةٌ وَالرَّخَـــاءُ[103]

---

(93) وقضت على الحارث مولى الطلاطلة القيوح التي سالت من رأسه.

(94) فهؤلاء الذين استجيبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.

(95) سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة الهالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سبع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثًا حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.

(96) فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرضة أي السوس.

(97) يا له من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.

(98) ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البحتري.

(99) فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العداء الأنداء جمع ناد، وهو العشيرة.

(100) أفاد أن لأكل الأرضة الصحيفة نظيراً هو أكلها لمنساة سليمان والمنساة: العصا.

(101) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلا اسمه تعالى، وكم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.

(102) لا تظن جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضاماً أي مضيعاً حين مسه الأذى من المشركين.

(103) وما أصابه من الشدة له فيه أسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كل أمر أصاب النبيين فالشدة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك=

لَــوْ يَمَــسُّ النُّـــضَارَ هَــوْنٌ مِــنَ النَّــا   رِ لَمَــا اخْتِيــرَ لِلنُّـــضَارِ الــصِّلاَءُ[104]

كَـــمْ يَـــدٍ عَـــنْ نَبِيِّـــهِ كَفَّهَـــا اللهُ   وَفِـــي الْخَلْـــقِ كَثْـــرَةٌ وَاجْتِـــرَاءُ[105]

إِذْ دَعَـــا وَحْـــدَهُ الْعِبَـــادَ وَأَمْــسَتْ   مِنْـــهُ فِـــي كُـــلِّ مُقْلَـــةٍ أَقْـــذَاءُ[106]

هَــمَّ قَـــوْمٌ بِقَتْلِـــهِ فَـــأَبَى الـــسَّيْـ   ـــفُ وَفَـــاءً وَفَـــاءَتِ الـــصَّفْوَاءُ[107]

وَأَبُـــو جَهْـــلٍ إِذْ رَأَى عُنُـــقَ الْفَحْــ   ـــلِ إِلَيْـــهِ كَأَنَّـــهُ الْعَنْقَـــاءُ[108]

وَاقْتَـــضَاهُ النَّبِـــيُّ دَيْـــنَ الإِرَاشِـــ   ـــيِّ وَقَـــدْ سَـــاءَ بَيْعُـــهُ وَالـــشِّرَاءُ[109]

وَرَأَى الْمُـــصْطَفَى أَتَـــاهُ بِمَـــا لَـــمْ   يُـــنْجِ مِنْـــهُ دُونَ الْوَفَـــاءِ النَّجَـــاءُ[110]

هُـــوَ مَـــا قَـــدْ رَآهُ مِـــنْ قَبْـــلُ لَكِـــنْ   مَـــا عَلَـــى مِثْلِـــهِ يُعَـــدُّ الْخَطَـــاءُ[111]

وَأَعَـــدَّتْ حَمَّالَـــةُ الْحَطَـــبِ الْفِهْـــ   ـــرَ وَجَـــاءَتْ كَأَنَّهَـــا الْوَرْقَـــاءُ[112]

يَـــوْمَ جَـــاءَتْ غَـــضْبَى تَقُـــولُ أَفِـــي مِثْـــ   لِـــيَ مِـــنْ أَحْمَـــدٍ يُقَـــالُ الهِجَـــاءُ[113]

وَتَوَلَّـــتْ وَمَـــا رَأَتْـــهُ وَمِـــنْ أَيْـ   ـنَ تَـــرَى الـــشَّمْسَ مُقْلَـــةٌ عَمْيَـــاءُ[114]

ثُـــمَّ سَـــمَّتْ لَـــهُ الْيَهُودِيَـــةُ الـــشَّا   ةَ وَكَـــمْ سَـــامَ الـــشِّقْوَةَ الأَشْـــقِيَاءُ[115]

فَـــأَذَاعَ الـــذِّرَاعُ مَـــا فِيـــهِ مِـــنْ شَـــ   ـــرٍّ بِنُطْـــقٍ إِخْفَـــاؤُهُ إِبْـــدَاءُ[116]

= الرخاء.

(104) الأنبياء كالذهب الذي لا يمسه العيب بعرضه على النار، فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.

(105) كم يد أرادت إذايته فكفها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.

(106) فحين دعا كل العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعوهم في رين كالعين الرمداء.

(107) قد هم قوم بقتله صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه، والصفواء الحجارة.

(108) وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام همَّ بقتله فرأى ما هاله فأحجم، والعنقاء طير عظيم.

(109) طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.

(110) وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.

(111) رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلاً مهولاً ولكنه لم يتعظ فإنّ خطأه لا ينحصر.

(112) وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(113) أعدت الحجر يوم جاءت غضبى حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.

(114) لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.

(115) ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.

(116) فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم ومحاسن صفاته

وَبِخُلْقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ   لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ(117)

مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا   نَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رِبَاءُ(118)

وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ   وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا والسِّبَاءُ(119)

فَحَبَاهَا بِرّاً تَوَهَّمَتِ النَّا   سُ بِهِ أَنَّمَا السِّبَاءُ هِدَاءُ(120)

بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ   أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ(121)

فَغَدَتْ فِيهِ وَهْيَ سَيِّدَةُ النِّسْـ   ـوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ(122)

فَتَنَزَّهْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيـ   ـهِ اسْتِمَاعَاً إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ(123)

وَامْلَإِ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيـ   ـهَا عَلَيْكَ الإِنْشَادُ وَالإِنْشَاءُ(124)

كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأْتُ بِهِ اسْتَوْ   عَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ(125)

سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ والْمَشْـ   ـيُ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الإِغْفَاءُ(126)

مَا سِوَى خُلْقِهِ النَّسِيمُ وَلاَغَيْـ   ـرَ مُحَيَّاهُ الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ(127)

---

(117) عدد الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها: الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصاً، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتص منها.

(118) ومن خُلقه الكريمة أن منّ على قبيلة هوازن تفضلاً وكرماً، وهوازن قبيلة حليمة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.

(119) وكان في السبي أخته من الرضاع فأكرمها كما يأتي:

(120) فأعطى برّا بها ما جعل الناس يتوهمون أن السبي نساءُ عرس.

(121) ومن إكرامه لأخته من الرضاع أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه فهنيئا لها ذلك الإكرام.

(122) فصارت به أخته من الرضاع سيدة النساء.

(123) لما ذكر ما اختص به من كريم الخلال طلب من العقلاء أن يتنزهوا في سماع صفاته الذاتيه وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

(124) إملاء السمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يمليها إنشاد الشعر.

(125) ومما يحملك على التنزه في ذاته ومعانيه أنك كلما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

(126) ذكر من شمائله في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسماً ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنه تنام عينه ولا ينام قلبه.

(127) بعدما أنهى الكلام على محاسن ذاته الشريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أن النسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أن وجهه هو الروضة الغناء وهي الكثيرة النبات والأزهار.

رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ ... وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ[128]

لاَ تَحُلُّ الْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبْـ ... ـرِ وَلاَ تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ[129]

كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّو ... ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلاَ الْفَحْشَاءُ[130]

عَظُمَتْ نِعْمَةُ الإِلَهِ عَلَيْهِ ... فَاسْتُقِلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ[131]

جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى ... وَأَخُو الحِلْمِ دَأْبُهُ الإِغْضَاءُ[132]

وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْماً وَحِلْماً ... فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ[133]

مُسْتَقِلٌّ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الإِمْـ ... ـسَاكُ مِنْهَا إِلَيْهِ والإِعْطَاءُ[134]

شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ ... أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ[135]

فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَى نُورُهُ الظِّـ ... ـلَّ وَقَدْ أَثْبَتَ الظِّلاَلَ الضُّحَاءُ[136]

فَكَأَنَّ الْغَمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ ... مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَفَاءُ[137]

خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا ... بَتْ بِهِ عَنْ عُقُولِنَا الأَهْوَاءُ[138]

أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلٍّ ... أَمْ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلاَمِ بَقَاءُ[139]

مُعْجِزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ ... الخَلْقِ وَالْخُلْقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ[140]

---

(128) وكله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

(129) لا تحل الشدة أسباب الصبر ويكفيك من صبره أن المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

(130) إنما اتصف بهذه الكمالات لأنه كرمت نفسه وطهرت من كل نقص فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء.

(131) كانت نعمة الله عليه عظيمه، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

(132) أغضى عمن آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له، وهذا الإغضاء دأب حال أخي الحلم فلا ينتقم.

(133) وسع صلى الله عليه وآله وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

(134) ومن أوصافه الكريمة أنه محتقر للدنيا إمساكها وإعطائها.

(135) وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلها مستمدة منه وقد تحقق أنه الشمس والضياء رفعة.

(136) وهو أقوى ضياء من الشمس فلذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محا نوره الظل.

(137) كأن الغمامة لما أظلته استودعته من أظلتهم الدّففاء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمة في ظله.

(138) وقد خفيت أمام فضائله كل الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

(139) استفهم، هل يوجد مع الصبح للنجوم إشراق، وهل يبقى الظلام مع الصبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضلال مع هدايته.

(140) قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادل وكثير العطاء.

لاَ تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الفَضْلِ خَلْقاً فَهُوَ الْبَحْرُ وَالأَنَامُ إِضَاءُ(141)

كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْـ ـلِ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الْفُضَلاَءُ(142)

من معجزاته

شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لَهُ الْبَدْ رُ وَمِنْ شَرْطِ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ(143)

وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الإِلْقَاءُ(144)

وَدَعَا لِلأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ(145)

فَاسْتَهَلَّتْ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّا مٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ(146)

تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّعْيِ والسَّقْيِ وَحَيْثُ الْعِطَاشُ تُوهَى السِّقَاءُ(147)

وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا وَرَخَاءٌ يُؤْذِي الأَنَامُ غَلاَءُ(148)

فَدَعَا فَانْجَلَى الْغَمَامُ فَقُلْ فِي وَصْفِ غَيْثٍ إِقْلاَعُهُ اسْتِسْقَاءُ(149)

ثُمَّ أَثْرَى الثَّرَى فَقَرَّتْ عُيُونٌ بِقُرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أَحْيَاءُ (150)

فَتَرَى الأَرْضَ غِبَّهُ كَسَمَاءٍ أَشْرَقَتْ مِنْ نُجُومِهَا الظَّلْمَاءُ (151)

تُخْجِلُ الدُّرَّ وَالْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوْ رِ رُبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحَمْرَاءُ(152)

---

(141) لا تقس أي أحد في الفضل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو البحر والأنام إضاء أي غدران.

(142) وكل فضل في جميع العالمين إنما استعاره الفضلاء منه.

(143) شرع في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فذكر منها شق صدره كما تقدم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه جزاء شق صدره.

(144) ومن معجزاته أنه رمى كفاً من الحصى فأهلك جيشاً وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بهذه المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السحرة.

(145-146) ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجدب فاستهلت الأمطار سبعة أيام.

(147) وصف السحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواضع العطاش.

(148- 149) ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(150- 151) ثم بعد ذلك الغيث النافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون بسبب عمارة القرى، حتى أصبحت الأرض من النبات والأزهار كالسماء بالنجوم. ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(152) وبسبب كثرة الأزهار والأعشاب أخجلت الدر واليواقيت.

تمني الناظم رؤيته ولقاءه صلى الله عليه وآله وسلم

لَيْتَـهُ خَـصَّنِي بِرُؤْيَـةِ وَجْـهٍ ... زَالَ عَـنْ كُـلِّ مَـنْ رَآهُ الـشَّقَاءُ[153]

مُـسْفِرٍ يَلْتَقِـي الْكَتِيبَـةَ بَـسَّا ... مـاً إِذَا أَسْـهَمَ الْوُجُـوهَ اللِّقَـاءُ[154]

جُعِلَـتْ مَـسْجِداً لَـهُ الأَرْضُ فَاهْتَـ ... ـزَّ بِـهِ لِلـصَّلاَةِ فِيهَـا حِـرَاءُ[155]

مُظْهِـرٍ شَـجَّةَ الْجَبِـينِ عَلَـى الْبُـرْ ... ءِ كَمَـا أَظْهَـرَ الْهِـلاَلَ الْبَـرَاءُ[156]

سُـتِرَ الْحُـسْنُ مِنْـهُ بِالْحُـسْنِ فَاعْجَـبْ ... لِجَمَـالٍ لَـهُ الْجَمَـالُ وِقَـاءُ[157]

فَهْـوَ كَـالزَّهْرِ لاَحَ مِـنْ سَـجَفِ الأَكْـ ... ـمَامِ وَالْعُـودِ شُـقَّ عَنْـهُ اللِّحَـاءُ[158]

كَـادَ أَنْ يُغْـشِيَ الْعُيُـونَ سَـنىً مِنْـ ... ـهُ لِـسِرٍّ فِيـهِ حَكَتْـهُ ذُكَـاءُ[159]

صَـانَهُ الْحُـسْنُ وَالـسَّكِينَةُ أَنْ تُظْـ ... هِـرَ فِيـهِ آثَارَهَـا الْبَأْسَـاءُ[160]

وَتَخَـالُ الْوُجُـوهَ إِنْ قَابَلَتْـهُ ... أَلْبَـسَتْهَا أَلْوَانَهَـا الْحِرْبَـاءُ[161]

فَـإِذَا شِـمْتَ بِـشْرَهُ وَنَـدَاهُ ... أَذْهَلَتْـكَ الأَنْـوَارُ وَالأَنْـوَاءُ[162]

أَوْ بِتَقْبِيـلِ رَاحَـةٍ كَـانَ لِلهِ ... وَبِـاللهِ أَخْـذُهَا وَالْعَطَـاءُ[163]

تَتَّقِـي بَأْسَـهَا الْمُلُـوكُ وَتَحْظَـى ... بِالْغِنَـا مِـنْ نَوَالِهَـا الْفُقَـرَاءُ[164]

لاَ تَـسَلْ سَـيْلَ جُودِهَـا إِنَّمَـا يَكْـ ... ـفِيكَ مِـنْ وَكْـفِ سُـحْبِهَا الأَنْـدَاءُ[165]

---

(153) شرع من هذا البيت في تمني لقائه صلى الله عليه وآله وسلم فتمنى أن يخصه برؤية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشقاء

(154) ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسماً في الوقت الذي تتغير فيه الوجوه بسبب اللقاء.

(155) وجعلت لهذا الوجه الكريم الأرض مسجداً والأمة تبع له واهتز جبل حراء بهذا الجَعْل،وحراء الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة

(156) وجهه الكريم أظهر شجة جبينه مع برئها فكانت تلك الشجة غاية في الجمال كالهلال أول ليلة.

(157) وسُتِرَ الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشجة.

(158) ما ظهر من الشجة كالزهر ظهر من الأكمام وهي أغطية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أزيل عنه قشرهُ.

(159) وكاد جمال وجهه بالشجة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس.

(160) وصان جمال وجهه في حسنه وسكينته أن تظهر فيه أثارها البأساء.

(161) وتخجل الوجوه إذا قابلته فتتلون كما تتلون الحرباء.

(162) فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده.

(163) لما أنهى تمني رؤية وجهه الكريم وأوصافه تمنى تقبيل راحته التي كان لله أخذها وعطاؤها.

(164) وكفه هذه تتقي بأسها الملوك وتحظى أي تفوز بالغنى من نوالها الفقراء.

(165) ولا تسأل جود هذه الكف لأنه يكفيك البلل منها لأن فيها الغنى.

دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا ... فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءُ[166]

نَبَعَ الْمَاءُ أثْمَرَ النَّخْلُ فِي عَا ... مٍ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْحَصْبَاءُ[167]

أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ ... أَعْوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاءُ[168]

فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِيَاعٌ ... وَتَرَوَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِمَاءُ[169]

وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ ... دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ[170]

كَانَ يُدْعَى قِنّاً فَأُعْتِقَ لَمَّا ... أَيْنَعَتْ مِنْ نَخِيلِهِ الأَقْنَاءُ[171]

أَفَلاَ تَعْذِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا ... أَنْ عَرَتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ[172]

وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ ... أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ[173]

وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهْيَ رُمْدٌ ... فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ[174]

وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْناً ... فَهْيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلاَءُ[175]

أَوْ بِلَثْمِ التُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لاَ ... نَتْ حَيَاءً مِنْ مَشْيِهَا الصَّفْوَاءُ[176]

مَوْطِئُ الأَخْمُصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْ ... بِ إِذَا مَضْجَعِي أَقَضَّ وِطَاءُ[177]

---

(166) وقد درت هذه الراحة الكريمة الشاة حين حلبها وذلك حين الهجرة.

(167) وظهرت من راحته معجزات منها نبع الماء من بين أصابعه وإثمار النخل في عام واحد وبها سبَّحت الحصباء.

(168) وأحيت هذه الكف المرملين وهم الذين لا زاد لهم في وقت الجدب عندما فقد القوم الزاد والماء.

(169) ومن أوصافها أنها غدَّت بصاع واحد ألف جائع، كما أروت الألف الظِمَاء.أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكاتبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(170) أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكاتبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(171) وكذلك كاتبه سيده على غرس ثلاثمائة نخلة فغرسها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأثمرت من عامها.

(172) والأقناء جمع قنو وهو العذق ألا تعذرون سلمان لما اعترته العُرَوَاءُ أي الحمى حين ذكر اليهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(173) ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وآله وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عنه الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.

(174) ومن أوصافها أنها برئت بها عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام. وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.

(175) وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.أي ليته خصنى بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.

(176) المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته قدامه لسرى سرهما إلى قلبه والأخمص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.

(177) ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بممشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.

حَظِـــــيَ الْمَــــسْجِدُ الْحَــــرَامُ بِمَمْــــشَا هَـــا وَلَـــمْ يَـــنْسَ حَظَّـــهُ إِيلِيَــاءُ(178)
وَرَمَــــتْ إِذْ رَمَــى بِهَــا ظُلَــمَ اللَّيْـــ ـــلِ إِلَـــى اللهِ خَوْفُـــهُ وَالرَّجَـــاءُ(179)
دَمِيَــــتْ فِـــي الْـــوَغَى لِتُكْــسِبَ طِيبـاً مَــا أَرَاقَــتْ مِــنَ الــدَّمِ الــشُّهَدَاءُ(180)
فَهْـــيَ قُطْـــبُ الْمِحْـــرَابِ وَالْحَـــرْبِ كَـــمْ دَا رَتْ عَلَيْهَـــا فِـــي طَاعَـــةٍ أَرْحَـــاءُ(181)
وَأَرَاهُ لَـــوْ لَـــمْ يُـــسَكِّنْ بِهَـــا قَبْـــ ـــلُ حِـــرَاءً مَاجَــتْ بِــهِ الــدَّأْمَاءُ(182)

القـــرآن

عَجَبـــاً لِلْكُفَّـــارِ زَادُوا ضَـــلالاً بِالـــذِي فِيـــهِ لِلْعُقُـــولِ اهْتِــدَاءُ(183)
والـــذِي يَـــسْأَلُونَ مِنْـــهُ كِتَــابٌ مُنْـــزَلٌ قَـــدْ أَتَـــاهُمُ وَارْتِقَــاءُ(184)
أَوَلَـــمْ يَكْفِهِـــمْ مِـــنَ اللهِ ذِكْـــرٌ فِيـــهِ لِلنَّـــاسِ رَحْمَـــةٌ وَشِـــفَاءُ(185)
أَعْجَـــزَ الإِنْـــسَ آيَـــةٌ مِنْـــهُ وَالْجِـــ ـــنَّ فَهَـــلاَّ تَـــأْتِي بِهَـــا الْبُلَغَـــاءُ(186)
كُـــلَّ يَـــوْمٍ تُهْـــدِي إِلَـــى سَـــامِعِيهِ مُعْجِـــزَاتٍ مِـــنْ لَفْظِـــهِ الْقُـــرَّاءُ(187)
تَتَحَلَّـــى بِـــهِ الْمَـــسَامِعُ والأَفْـــ ـــوَاهُ فَهْـــوَ الْحُلِـــيُّ وَالْحَلْـــوَاءُ(188)
رَقَّ لَفْظــاً وَرَاقَ مَعْنَـــىً فَجَـــاءَتْ فِـــي حُلاهَـــا وَحَلْيِهَـــا الْخَنْـــسَاءُ(189)
وَأَرَتْنَــا فِيـــهِ غَـــوَامِضَ فَـــضْلٍ رِقَّـــةٌ مِـــنْ زُلاَلِهَـــا وَصَـــفَاءُ(190)

---

(178) ومنها: أنها ورمت - بكسر الراء- أي تورمت حين قام بها تهجداً في الليل.
(179) وكذلك دميت قدمه في الوغى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيباً.
(180) وهي قطب المحراب والحرب معاً، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.
(181) اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطراب الجبل.
(182) عجب من الكفار حين زادوا ضلالاً مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.
(183) سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتاً وعناداً فأتاهم به وحياً من الله جل وعلا.
(184) يتعنتون ولم يكفهم القرآن المعجز الذي فيه للناس رحمة وشفاء.
(185) شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلاً يأتي بآيةٍ البلغاء.
(186) ولاشتمال القرآن على مالا يحصى من العلوم والمغيبات وغيرذلك كان في كل وقت تُهدي القراءُ إلى السامعين معجزات من لفظه
(187) تتحلى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حُلي وللأفواه حلواء.
(188) قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.
(189) وأوضحت آيات القرآن الرقية الحلوة الصافية غوامض وخفايا من العلوم والمعارف المستنبطة منه.
(190) وآيات القرآن لا تظهر إلا للعقول السليمة لأنه لا تُجتلى الوجوه وتظهر إلا في المرآة الصافية.

إِنَّمَــــا تُجْتَلَــــــى الْوُجُـــــوهُ إِذَا مَـــــا جُلِيَـــتْ عَـــنْ مِرْآتِهَـــا الأَصْـــدَاءُ[191]

سُـــوَرٌ مِنْـــهُ أَشْـــبَهَتْ صُـــوَراً مِـــ ـــنَّا وَمِثْـــلُ النَّظَـــائِرُ النُّظَـــرَاءُ[192]

وَالأَقَاوِيـــــلُ عِنْــــدُهُمْ كَالتَّمَاثِيـــ ـــلِ فَـــلاَ يُوهِمَنَّـــكَ الْخُطَبَـــاءُ[193]

كَـــمْ أَبَانَـــتْ آيَاتُـــهُ مِـــنْ عُلُـــومٍ عَـــنْ حُـــرُوفٍ أَبَـــانَ عَنْهَـــا الْهِجَـــاءُ[194]

فَهْـــيَ كَالْحَـــبِّ وَالنَّـــوَى أَعْجَـــبَ الـــزُّ رَّاعَ مِنْـــــهُ سَـــــنَابِلٌ وَزَكَـــــاءُ[195]

فَأَطَـــالُوا فِيـــهِ التَّـــرَدُّدَ وَالرَّيْــــ ـــبَ فَقَـــالُوا سِـــحْرٌ وَقَـــالُوا افْتِـــرَاءُ[196]

وَإِذَا الْبَيِّنَـــاتُ لَـــمْ تُغْـــنِ شَـــيْئاً فَالْتِمَـــاسُ الْهُـــدَى بِهِـــنَّ عَنَـــاءُ[197]

وَإِذَا ضَـــلَّتِ الْعُقُـــولُ عَلَـــى عِلْـــ ـــمٍ فَمَـــاذَا تَقُولُـــهُ النُّـــصَحَاءُ[198]

ما آل إليه أمر أهل الكتابيْن

قَـــوْمَ عِيـــسَى عَـــامَلْتُمْ قَـــوْمَ مُوسَـــى بِالَّــــذِي عَـــامَلَتْكُمُ الْحُنَفَـــاءُ[199]

صَـــدَّقُوا كُتْـــبَكُمْ وَكَـــذَّبْتُمْ كُتْـــ ـــبَهُمُ إِنَّ ذَا لَبِـــئْسَ الْبَـــوَاءُ[200]

لَـــوْ جَحَـــدْنَا جُحُـــودَكُمْ لاَسْـــتَوَيْنَا أَوَ لِلْحَـــقِّ بِالـــضَّلاَلِ اسْـــتِوَاءُ[201]

مَـــالَكُمْ إِخْـــوَةَ الْكِتَـــابِ أُنَاسـاً لَـــيْسَ يُرْعَـــى لِلْحِـــقِّ مِـــنْكُمْ إِخَـــاءُ[202]

---

(191) تماثل سور القرآن الفضلاء منا.

(192) ما تقوله الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفتهم للتماثيل.

(193) كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

(194) إن حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبذور.

(195) والكفار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحرٌ وافتراء في كتاب الله.

(196) وإذا البينات والحُجج الواضحة لم تفدهم شيئا فطلب الهدى من البينات عناء.

(197) وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النُّصحاء من الأنبياء والمبلغين.

(198) شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أن أهل الإسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

(199) صدّق قوم عيسى بالتوراة وكذب اليهود بالإنجيل فبئست المكافأة.

(200) لو جحد المسلمون كتابكم أيها اليهود كما أنكرتم كتابنا والإنجيل لاستوينا، ثم بين أنه لا يكون ذلك ولا يتصور لأننا لا نجحد الحق

(201) ما لكم يا أهل الكتاب أناساً لا يصدر منكم مراعاة للدين الحق.

(202) ومن عدم رعايتكم للحق أن الأول يحسد الأخير.

يَحْـــسُدُ الأَوَّلُ الأخِيـــرَ وَمَـــا زَا | لَ كَـــذَا الْمُحْـــدَثُونَ وَالْقُـــدَمَاءُ(203)
قَـــدْ عَلِمْـــتُمْ بِظُلْـــمِ قَابِيـــلَ هَابِيـــ | ـــلَ وَمَظْلُـــومُ الإِخْـــوَةِ الأَتْقِيَـــاءُ(204)
وَسَـــمِعْتُمْ بِكَيْـــدِ أَبْنَـــاءِ يَعْقُـــو | بَ أَخَـــاهُمْ وَكُلُّهُـــمْ صُـــلَحَاءُ(205)
حِـــينَ أَلْقَـــوْهُ فِـــي غَيَابَـــةِ جُـــبٍّ | وَرَمَـــوْهُ بِالإِفْـــكِ وَهْـــوَ بَـــرَاءُ(206)
فَتَأَسَّـــوْا بِمَـــنْ مَـــضَى إِذْ ظُلِمْـــتُمْ | فَالتَّأَسِّـــي لِلـــنَّفْسِ فِيـــهِ عَـــزَاءُ(207)
أَتَـــرَاكُمْ وَفَّيْـــتُمُ حِـــينَ خَـــانُوا | أَمْ تُـــرَاكُمْ أَحْـــسَنْتُمُ إِذْ أَسَـــاءوا(208)
بَـــلْ تَمَـــادَتْ عَلَـــى التَّجَاهُـــلِ آبَـــا | ءٌ تَقَفَّـــتْ آثَارَهَـــا الأَبْنَـــاءُ(209)
بَيَّنَتْـــهُ تَـــوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيـــ | ـــلُ وَهُـــمْ فِـــي جُحُـــودِهِ شُـــرَكَاءُ(210)
إِنْ تَقُولُـــوا مَـــا بَيَّنَتْـــهُ فَمَـــا زَا | لَـــتْ بِهَـــا عَـــنْ عُيُـــونِهِمْ غَـــشْوَاءُ(211)
أَوْ تَقُولُـــوا قَـــدْ بَيَّنَتْـــهُ فَمَـــا لِلْـــ | ـــأُذْنِ عَمَّـــا تَقُولُـــهُ صَـــمَّاءُ(212)
عَرَفُـــوهُ وَأَنْكَـــرُوهُ وَظُلْمـــاً | كَتَمَتْـــهُ الـــشَّهَادَةَ الـــشُّهَدَاءُ(213)
أَوَ نُـــورَ الإِلَـــهِ تُطْفِئُـــهُ الأَفْـــ | ـــوَاهُ وَ هْـــوَ الـــذِي بِـــهِ يُسْتَـــضَاءُ(214)
أَوَ لا يُنْكِـــرُونَ مَـــنْ طَحَنَـــتْهُمْ | بِرَحَاهَـــا عَـــنْ أَمْـــرِهِ الْهَيْجَـــاءُ(215)

---

(203) قد عملتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل وهو أول أولاد آدم عليه السلام هابيل وهو ثاني أولاد آدم حسداً له.

(204) وخاطب أهل الكتابين بأنهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأخيهم يوسف حين ألقوه في غيابة الجب ورموه بالسرقة وهو أخوهم الصغير.

(206) وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

(207) ثم قال أتظنكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق حين كتموه؟، وأتظنكم أحسنتم إذ أساؤا؟ بل لا يرون شيئا من ذلك واستمروا على التجاهل، وتبعت الأبناء آثار الآباء الباطلة.

(209) بينت التوراة والأناجيل الحق ومن جملته إثبات نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشترك اليهود والنصارى في جحود الحق الثابت في كتبهم.

(210) إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إن كتبهم لم تبين الحق فلم تزل العماية على عيونهم بل هي باقية.

(211) وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأي شيء جعل آذانهم صماء.

(212) عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

(213) ثم قال لا يمكن أن تطفئ الأفواه نور الله وهو النبوة.

(214) وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

(215) اشتد الإسلام على اليهود لِمَا اتصفوا به من المكر فطلت دماء بني قريظة، وصينت دماء بني النضير بإجلائهم.

وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طُلَّـ ... ـتْ دِمـاً مِنْهُمْ وَصِينَتْ دِمَاءُ[216]

كَيْفَ يَهْدِي الإِلَهُ مِنْهُمْ قُلُوباً ... حَشْوُهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ[217]

خَبِّرُونَا أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ مِنْ أَيْـ ... ـنَ أَتَاكُمْ تَثْلِيثُكُمْ وَالْبَدَاءُ[218]

مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ ... وَاعْتِقَادٌ لاَ نَصَّ فِيهِ ادِّعَاءُ[219]

وَالدَّعَاوِي مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا ... بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ[220]

لَيْتَ شِعْرِي ذِكْرُ الثَّلاَثَةِ وَالْوَا ... حِدِ نَقْصٌ فِي عَدِّكُمْ أَمْ نَمَاءُ[221]

كَيْفَ وَحَّدْتُمُ إِلَهاً نَفَى التَّوْ ... حِيدَ عَنْهُ الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ[222]

أَإِلَهٌ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا ... بِإِلَهٍ لِذَاتِهِ أَجْزَاءُ[223]

أَلِكُلٍّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْـ ... ـكِ فَهَلاَّ تُمَيَّزُ الأَنْصِبَاءُ[224]

أَتُرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ ... خَلَطُوهَا وَمَا بَغَى الْخُلَطَاءُ[225]

أَهُوَ الرَّاكِبُ الْحِمَارَ فَيَا عَجْـ ... ـزَ إِلَهٍ يَمَسُّهُ الإِعْيَاءُ[226]

---

(216) كيف يهدي الإله قلوباً لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(217) أعلمونا أهل الكتابين التوراة والإنجيل من أين أتى التثليث - الله وعيسى ومريم- وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.

(218) بعد أن استفهم استفهاماً إنكارياً بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.

(219) وما تدّعونه يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه أدعياء.

(220) بيّن تناقض النصارى في ادعائهم التثليث والتوحيد فحينئذ يكون التثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعاؤكم التوحيد نقصاً، وأثبت لهم التناقض لأنهم يثبتون التوحيد تارة والتثليث أخرى.

(221) تعجب في هذا البيت من النصارى كيف يقولون بالتوحيد مع أن نسبة الأبوة والبنوة تنفيه.

(222) استفهم استفهاماً إنكارياً قائلا: أيمكن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك مما يحيله العقل.

(223) إنما أحال العقل أن يكون الإله ذا أجزاء لأنه يلزم أن يكون لكل أحد من الآلة نصيب من الملك مع أن ذلك لم يقع فلا تعدد.

(224) وإن قيل أن الآلة خلطوا أنصباءهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزاً، ثم أنه متى وجدت الشركة وجد التنازع وهو مؤدٍ إلى خراب العالم وهذا أخذٌ من قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء:22) أي لو كان آلهة في السموات والأرض غير الله لفسدتا لكنهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدد الآلهة وثبت التوحيد.

(225- 228) أبطل التعدد في هذه الأبيات بأسلوب لطيف تهكمي حيث إن المسيح عليه السلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز، والعجز ليس من صفة الإله، ثم تهكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الآلهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي يحمل الآلهة الثلاثة. وذكر في البيت (228) أن أصحاب عقيدة التثليث إذا قالوا أن الإله غير الثلاثة الراكبين على الحمار أُجيبوا فما نسبة عيسى إلى الإله.

أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَـ ... ـلَّ حِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَّاءُ(227)

أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الإِلَهُ فَمَا نِسْـ ... بَةُ عِيسَى إِلَيْهِ وَالإِنْتِمَاءُ(228)

أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمْ خُصَّـ ... ـتْ ثُلاَثٌ بِوَصْفِهِ وَثُنَاءُ(229)

أَمْ هُوَ ابْنٌ للهِ مَا شَارَكَتْهُ ... فِي مَعَانِي الْبُنُوَّةِ الأَنْبِيَاءُ(230)

قَتَلَتْهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ ... وَلأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ(231)

إِنَّ قَوْلاً أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّـ ... ـهِ تَعَالَى ذِكْراً لَقَوْلٌ هُرَاءُ(232)

مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلٌّ ... لَزِمَتْهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ(233)

إِذْ هُمُ اسْتَقْرَؤُا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا ... قَ وَبَالاً إِلَيْهِمُ اسْتِقْرَاءُ(234)

وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَـ ... هَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلاً مَا يَشَاءُ(235)

جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَ مَا جَوَّزُوا الْمَسْـ ... ـخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ(236)

(228-232) ناقش في هذه الأبيات الأربعة عقيدة التثليث عند النصارى مبطلاً لها بدليلين: الأول: إن أرادوا بالثلاثة الصفات الإلهية أبطل هذا الاحتمال بأن الصفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها؟ لأنه تحكم، الاحتمال الثاني: إن قالوا إن عيسى ابن الله وهو نبي كسائر الأنبياء فلهذا كان عليكم أن تصفوا كل الأنبياء بالبنوة لله - تعالى عن ذلك-. ثم أبطل ألوهية المسيح بأن النصارى يدّعون أن اليهود قتلوه والحال أنه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الصلب وإلا في الحقيقة أن الله رفعه إليه حياً وختاماً بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولاً هراءً أي قولا فاحشاً.

(232-243) انتقل في هذه الأبيات إلى الرد على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبيناً أن كلاً من مقالة النصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شنعاء، فاليهود الزاعمون أن النسخ يوجب البداء يرده ما أفاده العقل الرجيح وهو أن الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه تقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبين حِكمة النسخ، ثم شرع البوصيري في الرد عليهم بإلزامهم أنهم إذا أنكروا النسخ يلزم على إنكارهم عجز الواحد القهار، ثم ألزم المنكرين للنسخ بأنهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجويز المسخ إذ لا فرق بينهما، ثم وضح هذا الرد بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر والمسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وإنما التبديل في النسخ في الحكم، وفي المسخ في الخلق، ثم انتقل في الرد عليهم إلى أن النسخ هو انتهاء لحكم وهو المنسوخ وابتداء لآخر وهو الناسخ، وبالغ في هذا فأمر بسؤال اليهود عن المسخ أهو نسخ لآيات الله أم إنشاء، فإن اعترفوا بأنه نسخ فقد ثبتت الحجة عليهم، وإن قالوا أنه إنشاء فذلك مكابرة. ثم أمر بسؤال اليهود مبالغة في الرد عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم أو خطأ. فإن كان عن قصد فقولهم هذا البداء الذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا إن قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغباوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو محو آية الليل بالنهار أهو سهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين إلزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزمٍ لهم بالقول بالنسخ وهو أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق ثم لما أضجعه نسخ حكم الذبح بتركه وفداه بذبح عظيم وإنما اقتصر الناظم على أن الذبيح هو إسحاق لأنه في مقام الرد على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة أن الذبيح هو إسماعيل، ثم أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالإقرار بالنسخ هو أن نكاح الأخت كان حلالاً في زمن آدم ثم نسخ الله حكمه بالتحريم.

هُـــــوَ إلاّ أنْ يُرْفَـــــعَ الْحُكْـــــمُ بِالْحُـــــــكْمِ وَخَلْـــقٌ فِيــــهِ وَأَمْـــرٌ سَـــوَاءُ(237)

وَلِحُكْــــمٍ مِــــنَ الزَّمَـــانِ انْتِهَـــاءٌ وَلِحُكْــــمٍ مِــــنَ الزَّمَـــانِ ابْتِـــدَاءُ(238)

فَـــسَلُوهُمْ أكَـــانَ فِـــي مَـــسْخِهِمْ نَـــسْـــــخٌ لآيَـــــاتِ اللهِ أمْ إنْـــــشَاءُ(239)

وَبَـــدَاءٌ فِـــي قَـــوْلِهِمْ نَـــدِمَ اللـــــــهُ عَلَـــى خَلْـــق آدَمٍ أمْ خَطَـــاءُ(240)

أمْ مَحَـــا اللهُ آيَـــةَ اللَّيْـــلِ ذُكْـــراً بَعْـــدَ سَـــهْوٍ لِيُوجَـــدَ الإمْـــسَاءُ(241)

أمْ بَـــدَا لِلإلَـــهِ فِـــي ذَبْـــحِ إسْـــحَا قَ وَقَـــدْ كَـــانَ الأمْـــرُ فِيــهِ مَـضَاءُ(242)

أوَ مَـــا حَـــرَّمَ الإلَـــهُ نِكَـــاحَ الأخْـــتِ بَعْـــدَ التَّحْلِيـــلِ فَهْـــوَ الزِّنَـــاءُ(243)

اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما نالهم من جراء خداعهم

لاَ تُكَـــــذِّبْ أنَّ الْيَهُـــــودَ وَقَـــــدْ زَا غُـــوا عَـــنِ الْحَـــقِّ مَعْـــشَرٌ لُؤَمَـــاءُ(244)

جَحَـــدُوا الْمُـــصْطَفَى وَآمَـــنَ بالطَّـــا غُـــوتِ قَـــومٌ هُـــمْ عِنْـــدَهُمْ شُـــرَفَاءُ(245)

قَتَلُـــوا الأنْبِيَـــاءَ وَاتَّخَـــذُوا العِجْـــــلَ ألاَ إنَّهُـــمْ هُـــمُ الـــسُّفَهَاءُ(246)

وَسَـــفِيهٌ مَـــنْ سَـــاءَهُ الْمَـــنُّ والـــسَّلْـــوَى وَأَرْضَـــاهُ الْفُـــومُ والقِثَّـــاءُ(247)

(244-257) لا سبيل إلى التكذيب بأن اليهود زائغون عن الحق وهم معشر لؤماء كما أنهم من زيغهم جحدوا نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون أنحن خير ديناً من محمد؟ قالوا: نعم. ومن زيغهم وسفههم قتلهم الأنبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل إلهاً، وقد صاغه لهم السامري من حلي القبط المستعارة. ومن خبثهم أنهم أحزنهم ما منحهم الله من المن، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السماني كان من أشهى الطيور لحماً، وسألوا الفوم وهو الثوم والقثاء وهو الخيار. ومن مخازيهم أن الحرام وأكل السحت والربا مُلئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيراً لجعل السبت الذي هو بمعنى القطع محله الأربعاء الذي خلق النور فيه، ومع ذلك أن يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم. وذكر أن اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قردة وخنازير. وبسبب ظلم اليهود بأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكفرهم فأتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم، وفي ترك الطيبات هلاك لهم، ثم ذكر ما نالهم من أجل انخداعهم وخداعهم، وخلاصة ما ذكره أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يدسون إليهم المكر والخديعة فتعنت أحبارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك إجلاء بني النضير من الحجاز إلى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: أسلموهم لأول الحشر...، والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رجع المتحزبون من الكفار ورُفع الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم.

مُلِئَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ ... فَهْيَ نَارٌ طِبَاقُهَا الأَمْعَاءُ[248]

لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ ... كَانَ سَبْتاً لَدَيْهِمُ الأَرْبِعَاءُ[249]

هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْـ ... ـرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ[250]

فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكُفْرٍ عَدَتْهُمْ ... طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلاَءُ[251]

خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْـ ... ـفَقُ إِلاَّ عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ[252]

وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الأَحْزَابِ إِخْوَا ... نِهِمُ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ[253]

حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ ... رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْحُلَفَاءُ[254]

أَسْلَمُوهُمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ لاَ مِيـ ... ـعَادُهُمْ صَادِقٌ وَلاَ الإِيلاَءُ[255]

سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوباً ... وَبُيُوتاً مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلاَءُ[256]

وَبِيَوْمِ الأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الأَبْـ ... ـصَارُ فِيهِ وَضَلَّتِ الآرَاءُ[257]

مجازاة المؤذين بالهلاك

وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُوداً ... كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعَدْوَاءُ[258]

وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ ... فَأُبِيدَ الأَمَّارُ وَالنَّهَّاءُ[259]

وَتَعَاطَوْا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْ ... لِ وَنُطْقُ الأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءُ[260]

كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ السُّو ... ءُ سِفَاهاً وَالْمِلَّةُ الْعَوْجَاءُ[261]

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْ ... مِ وَمَا سَاقَ لِلْبَذِيِّ الْبَذَاءُ[262]

---

(257) تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذايتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فجوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة.

(258) أي نهى أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفوهم عن الإذاية فلم ينتهوا فهلك المار بالإذاية والنهاء عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(259) وتناول الكفار القول المنكر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأخسّاء الأسافل الفحش.

(260) أفاد أن كل قذارة يزيدها الخُلق السوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضاً سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

(261- 263) أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الإذاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انقلب السب سُمّاً بإبدال الباء ميماً فأهلكهم السب كما يهلك السم.

وَجَـــدَ الـــسَّبَّ فِيـــهِ سَـــمًّا وَلَـــمْ يَـــدْ ر إِذِ الْمِـــيمُ فِـــي مَوَاضِـــعَ بَـــاءُ[263]

كَـــانَ مِـــنْ فِيـــهِ قَتْلُـــهُ بِيَدَيْـــهِ فَهْـــوَ فِـــي سُـــوءِ فِعْلِـــهِ الزَّبَّـــاءُ[264]

أَوْ هُـــوَ النَّحْـــلُ قَرْصُـــهَا يَجْلِـــبُ الْحَتْـــ ـــفَ إِلَيْهَـــا وَمَـــا لَـــهُ إِنْكَـــاءُ[265]

عاقبة قومه المناوين له

صَـــرَعَتْ قَوْمَـــهُ حَبَائِـــلُ بَغْـــيٍ مَـــدَّهَا الْمَكْـــرُ مِـــنْهُمُ وَالـــدَّهَاءُ[266]

فَـــأَتَتْهُمْ خَيْـــلٌ إِلَـــى الحَـــرْبِ تَخْـــ ـــتَالُ وَلِلْخَيْـــلِ فِـــي الْـــوَغَى خُـــيَلاءُ[267]

قَـــصَدَتْ فِـــيهِمُ الْقَنَـــا فَقَـــوَافِي الطَّعْـــنِ مِنْهَـــا مَـــا شَـــأنَهَا الإِيطَـــاءُ[268]

وَأَثَـــارَتْ بِـــأَرْضِ مَكَّـــةَ نَقْعـــاً ظُـــنَّ أَنَّ الغُـــدُوَّ مِنْهَـــا عِـــشَاءُ[269]

أَحْجَمَـــتْ عِنْـــدَهَا الْحَجُـــونُ وَأَكْـــدَى عِنْـــدَ إِعْطَائِـــهِ الْقَلِيـــلَ كُـــدَاءُ[270]

وَدَهَـــتْ أَوْجُهـــاً بِهَـــا وَبُيُوتـــاً مُـــلَّ مِنْهَـــا الإِكْفَـــاءُ وَالإِقْـــوَاءُ[271]

عفوه وجمال أفعاله

فَـــدَعَوْا أَحْلَـــمَ الْبَرِيَّـــةِ والعَفْـــ ـــوُ جَـــوَابُ الحَلِـــيمِ وَالإِغْـــضَاءُ[272]

(263- 265) وتسبب الإيذاء أن البذيّ تسببت له بذاءة فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيه بالملكة الزباءِ التي أدركها عمرو فمصّت خاتماً فيه السم فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيه آخر لعاقبة البذيّ اللسان فشبهه بالنحل التي لسعها يجلب لها حتفها أي موتها والحال أن لسعها ليست له نكاية.

(265) صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهم ولم يُجْدِهم مكرهم ولا دهاءهم الخبيث.

(266) فبسبب مكرهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلم خيل يَتَبَخْتَرُ بها شجعان المسلمين فعاد مكرهم وبالاً عليهم.

(267) المعنى قوي طعن القنا - وهي الرماح- في أبدانهم تكراراً وإعادةً.

(268) أثارت خيل المسلمين التي قصدت مكة نقعاً أي غباراً حتى أظلم الجوُّ وهذا إشارة إلى غزوة فتح مكة ووقعت في رمضان سنة 8

(269) أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون - وهو الجبل المُطل على مقبرة مكة وهي المعلاة- ومنها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثانية من كُدَا - بضم الكاف- من أسفل مكة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك، ومعنى أحجمت الحجون: أن أهلها كفوا عن القتال، وأما كُدَا فإن أهلها قاتلوا قليلاً وإلى ذلك أشار قوله: " وأكدى: عند إعطائه القليل كداء" ومعنى: أكدى: قطع.

(270) أي أصابت خيل الفتح أوجهاً من الناس قاتلت، وبيوتاً فرَّ أهلها منها.

(271- 274) لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دعته قريش وهو احلم البرية وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن العقوبة، وناشدوه بالقربى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك القرابة التي قطعتها الترات - أي عدم إدراك الثأر- والشحناء: أي التباغض والتحاسد، وبسبب تلك المناشدة والسؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر، ولم يُكَدِّر عفوه ما مضى منهم من مبالغة في الإيذاء.

نَاشَـــدُوهُ الْقُرْبَـــى التِـــي مِـــنْ قُـــرَيْشٍ قَطَعَتْهَـــا التِّـــرَاتُ وَالْـــشَّحْنَاءُ(273)

فَعَفَـــا عَفْـــوَ قَـــادِرٍ لَـــمْ يُنَغِّـــصْـ ـــهُ عَلَـــيْهِمْ بِمَـــا مَـــضَى إغْـــرَاءُ(274)

وَإِذَا كَـــانَ الْقَطْـــعُ وَالْوَصْـــلُ لِلْـ ـــهِ تَـــسَاوَى التَّقْرِيـــبُ وَالإِقْـــصَاءُ(275)

وَسَـــوَاءٌ عَلَيْـــهِ فِيمَـــا أَتَـــاهُ مِـــنْ سِـــوَاهُ الْمَـــلامُ وَالإِطْـــرَاءُ(276)

وَلَـــوْ أَنَّ انْتِقَامَـــهُ لِهَـــوَى النَّفْـ ـــس لَـــدَامَتْ قَطِيعَـــةٌ وَجَفَـــاءُ(277)

قَـــامَ للهِ فِـــي الأُمُـــورِ فَأَرْضَـــى اللهَ مِنْـــهُ تَبَـــايُنٌ وَوَفَـــاءُ(278)

فِعْلُـــهُ كُلُّـــهُ جَمِيـــلٌ وَهَـــلْ يَنْـ ـــضَحُ إلاَّ بِمَـــا حَـــوَاهُ الإِنَـــاءُ(279)

أَطْـــرَبَ الـــسَّامِعِينَ ذِكْـــرُ عُـــلاَهُ يَـــا لَـــرَاحٍ مَالَـــتْ بِـــهِ النُّـــدَمَاءُ(280)

النَّبِـــيُّ الأُمِّـــيُّ أَعْلَـــمُ مُـــنْ أَسْـ ـــنَدَ عَنْـــهُ الـــرُّوَاةُ وَالْحُكَمَـــاءُ(281)

(274-276) أفاد أنه إذا كان القطع والوصل لله أن يتساوى عنده تقريب الأقارب والأباعد وإقصاء الأقارب والأباعد ويتساوى عنده اللوم والمدح.

(277-281) أبانت جملة هذه الأبيات ما اتصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن أفعاله ليست معللة بهوى النفس وإنما هي كلها لله تعالى ولذلك لما ناشدته قريش القربى عفا عنها، ولو كانت أفعاله لهوى النفس لانتقم منهم أشد انتقام ولقطعهم وجفاهم ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضي كما أن الإناء المليء طيباً لا ينضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب، ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلاً عن الذين نالتهم ثم أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه أمياً - والأمي نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ- أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقولهم، فهو اعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

(281-296) أفاد في الأبيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولاً المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة. وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووفت بوعدها، ثم استفهم قائلاً: أيليق بي ترك الزيارة؟ فلا انضم إلى النقاة بركوبها لتطوى الفلوات بينه وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الطيّ بألوف البطحاء- أي بهذه الناقة التي ألفت بطحاء مكة، ولإيلاف هذه الناقة مكة صارت يزعجها النيل، والحال أنها قد شَفَّ جوفها الإظماء وهو العطش، وهي من حبها لمكة أنكرت مصر ونفرت مما يلوح لعينيها من بناء أو فضاء، ثم شرع في ذكر المنازل مستهلاً بأن البركة أقضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشيخ الإمام النبهاني أي خشنت مضاجعها والذي عليه كل الشراح:فأفضت بركتها أي سالت

(1) والبركة أول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر.

(2) والبويب - بالتصغير- موضع بعد البركة.

(3) الخضراء: قرية بالمَحَل المسمى بعجرود وبجانب القرية بركة ماء تُملأ من بئر.

(4) القباب التي تلي المنازل السابقة أي وادي القباب.

(5) بئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الذي قبلها، ولهذا قال: "والركب قائلون رواء" وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة. =

= (6) ومن المنازل: أيْلة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، وقد ذكر المفسرون: أن القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.

(7) حِقْل: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة: دَوَّار حِقْن.

(8) قُرٌّ: بضم القاف والراء المشددة - قال ابن حجر الهيتمي شارح الهمزية: ليس هذا الاسم مشهوراً عند الناس اليوم، وابن حجر من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ) وأراد البوصيري بقوله: "خلفها" أي الناقة.

(9) المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنه أراد بها المَحَل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الهمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبي عليه الصلاة والسلام.

(10) عيون الأقصاب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.

(11) النَّبْك: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيتمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمى بنبط.

(12) الكفافة: وصفها الناظم بالعوجاء أي أنها منحرفة عن جادة الطريق وقال الجمل: تعرف في عصره بسلمى وكفافة.

(13) الحوراء: حفائر على ساحل البحر، ونسب الناظم إلى الحوراء محادثة الناقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.

(14) ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره- يعرف بينبع كينصر. وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الإياب.

(15) الدهنوان: هو الآن محل واحد يسمى بالدهناء، وهي موضع أمام ينبع.

(16) بدر: وقال الناظم: (لاح بالدهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعز الله بها الإسلام.

(17) وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطائف المذكورة في الآية.

(18) الصفراء: قرية معروفة.

(19) بزوة: مكان يسمى بقاع البزوي عند الحاج.

(20) رابغ: هو وادٍ بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة قرب البحر.

(21) الجحفة: محل بعد رابغ، وقول الناظم (ونَضَتْ بَزوةُ - البيت) أي أن هذه الأماكن: بزوة ورابغ والجحفة خلعت عن الناقة الإعياء لفرحها بقرب الوصول.

(22) بئر علي: قال الجمل: هو المشهور الآن ببئر التفلة.

(23) عقاب السَّويق:قال ابن حجر قريب من المكان المتقدم.

(24) الخلصاء: قال ابن حجر: اشتهر في عصره بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت الناقة الخلاص لأنها قريبة من مكة.

(25) بئر عسفان: بضم العين كعثمان على مرحلتين من مكة.

(26) بطن مَرٍّ: ويسمى: مرّ الظهران قريب من مكة.

(27) الزّاهر: مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم.

(28) المساجد: المحل المعروف بمساجد عائشة. ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكة بقوله:

هـــــذه عـــــدة المنـــــازل لامـــــا عُـــــدَّ فيـــــه الـــــسماك والعَـــــوَّاءُ

أي هذه المنازل بين مصر ومكة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر، وكل من هذه المنازل ثمانية وعشرون، ومن منازل القمر: السماك الأعزل، والعواء.

الحج والزيارة

وَعَــــدَتْنِي ازْدِيَـــارَهُ الْعَـــامَ وَجْنَـــا ءُ وَمَنَّـــتْ بِوَعْـــدِهَا الْوَجْنَـــاءُ(282)

أَفَـــلاَ أَنْطَـــوِي لَهَـــا فِـــي اقْتِـــضَائِـــهِ لِتُطْـــوَى مَـــا بَيْنَنَـــا الأَفْـــلاَءُ(283)

بِـــأُلُوفِ الْبَطْحَـــاءِ يُجْفِلُهَـــا النِّيـــلُ وَقَـــدْ شَـــفَّ جَوْفَهَـــا الإِضْـــمَاءُ(284)

أَنْكَـــرَتْ مِـــصْرَ فَهْـــيَ تَنْفِـــرُ مَـــا لاَحَ بِنَـــاءٌ لِعَيْنِهَـــا أَوْ خَـــلاَءُ(285)

فَأَقَـــضَّتْ عَلَـــى مُبَارِكِهَـــا بِـــرْكَتُهَـــا فَالْبُوَيْـــبُ فَالْخَـــضْرَاءُ(286)

فَالْقِبَـــابُ الَّتِـــي تَلِيهَـــا فَبِئْـــرُ النَّخْـــلِ وَالرَّكْـــبُ قَـــائِلُونَ رِوَاءُ(287)

وَغَـــدَتْ أَيْلَـــةٌ وَحِقْـــلٌ وَقُـــرٌّ خَلْفَهَـــا فَالْمَغَـــارَةُ الْفَيْحَـــاءُ(288)

فَعُيُـــونُ الأَقْـــصَابِ يَتْبَعُهَـــا النَّبْـــكُ وَتَتْلُـــو كَفَافَـــةَ الْعَوْجَـــاءُ(289)

حَاوَرَتْهَـــا الْحَـــوْرَاءُ شَـــوْقًا فَيُنْبُـــعٌ فَـــرَقَّ الْيُنْبُـــوعُ وَالْحَـــوْرَاءُ(290)

لاَحَ بِالـــدَّهْنَوَيْنِ بَـــدْرٌ لَهَـــا بَعْـــدَ حُنَـــيْنٍ وَحَنَّـــتِ الـــصَّفْرَاءُ(291)

وَنَـــضَتْ بَـــزْوَةٌ فَرَابِـــغُ فَالْجُحْـــفَةُ عَنْهَـــا مَـــا حَاكَـــهُ الإِنْـــضَاءُ(292)

وَأَرَتْهَـــا الْخَـــلاَصَ بِئْـــرُ عَلِـــيٍّ فَعُقَـــابُ الـــسُّوَيْقِ فَالْخُلَـــصَاءُ(293)

فَهْـــيَ مِـــنْ مَـــاءِ بِئْـــرِ عُـــسْفَانَ أَوْ مِـــنْ بَطْـــنِ مَـــرٍّ ظَمْآنَـــةٌ خَمْـــصَاءُ(294)

قَـــرَّبَ الزَّاهِـــرُ الْمَـــسَاجِدَ مِنْهَـــا بِخُطَاهَـــا فَـــالْبُطْءُ مِنْهَـــا وَحَـــاءُ(295)

هَـــذِهِ عِـــدَّةُ الْمَنَـــازِلِ لاَ مَـــا عُـــدَّ فِيـــهِ الـــسِّمَاكُ وَالْعَـــوَّاءُ(296)

(297-302) شبه في البيت الأول ناقته التي ركبها في مكة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسماء.

وأرحل في هذا البيت يصح بناؤه للفاعل كما يصح بناؤه للنائب، ولما ذكر مكة في البيت الأول، ذكر في البيت الثاني أن مكة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي ومأوى الرسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثم ذكر أفعال الحجّ من الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار، والإهداء: وهو سوق الهدي إلى مكة وذبحه بها. ثم قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إليَّ ولم يغيرها البلاء أي القدم، وذكر أيضاً من الأشياء التي شرف الله بها مكة أنها حرم آمن، وهي محترمة بحرمة الله من يوم خلق السموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأنّ بها البيت الحرام الكعبة، وأنّ بها المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أنزل لإبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثم ذكر أن المقام بضم الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار. وذكر أنه أدى المناسك بها،=

التنقل بين مكة وبقية المشاعر

فَكَأَنِّي بِهَا أُرَحِّلُ مِنْ مَــ ... ــكَّة شَمْساً سَمَاؤُهَا الْبَيْدَاءُ[297]

مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى ... الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ[298]

حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ ... والْحَلْقُ وَرَمْيُ الْجِمَارِ وَالإِهْدَاءُ[299]

حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا ... لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلاَءُ[300]

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ ... وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلاَءُ[301]

فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لاَ يُحْــ ... ــمَدُ إِلاَّ فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ[302]

السَّيْر للزيارة المشرفة

وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْــ ... ــبَة وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ[303]

فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ ... بِ وَنِعْمَ الْخَبِيئَةُ الْكَوْمَاءُ[304]

فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يَغُضُّ ... الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ واللَّأْلاَءُ[305]

فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ مَا قَا ... بَلَتِ الْعَيْنُ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ[306]

وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا ... طَرَفَيْهَا مُلاءَةٌ حَمْرَاءُ[307]

وَكَأَنَّ الأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْــ ... ــمِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجِرْبِيَاءُ[308]

= والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة أي متعبدات الحج والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الداء إلا في فعلها.

(303-312) انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة، فذكر أنه رمى بناقته التي ألفت البطحاء الفجاج وهي جمع فج وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمى به. وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة، ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم يغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق. وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حيثما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها. وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكأن ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها. فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء –بكسر الكاف- أي ريح البخور. وحين وصل إلى قباء -بضم القاف- شاهد الزائرون نوراً باهراً وأزهاراً نضيرة حين رأوا القباب التي هناك، واعترته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمعه فهو سيل، وفر اصطباره فهو كالجفاء أي الزَبد وبسبب ما يعتري من الحال يرى المخاطب السائرين جادين في السير لشدة الشوق إلى المدينة المنورة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم وللزائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فَـــإِذَا شِـــمْتَ أوْ شَـــمِمْتَ رُبَاهَـــا لاَحَ مِنْهَـــا بَـــرْقٌ وَفَـــاحَ كِبَـــاءُ[309]
أيُّ نُـــورٍ وَأيَّ نَـــوْرٍ شَـــهِدْنَا يَـــوْمَ أبْـــدَتْ لَنَـــا الْقِبَـــابَ قُبَـــاءُ[310]
قَـــرَّ مِنْهَـــا دَمْعِـــي وَفَـــرَّ اصْـــطِبَارِي فَـــدُمُوعِي سَـــيْلٌ وَصَـــبْرِي جُفَـــاءُ[311]
فَتَـــرَى الرَّكْـــبَ طَـــائِرِينَ مِـــنَ الـــشَّوْ قِ إلَـــى طَيْبَـــةٍ لَهُـــمْ ضَوْضَـــاءُ[312]

ما يعتري القادمين من عظيم المهابة

فَكَـــأَنَّ الـــزُّوَّارَ مَـــا مَـــسَّتِ الْبَـــأْ سَـــاءُ مِـــنْهُمْ خَلْقـــاً وَلاَ الـــضَّرَّاءُ[313]
كُـــلُّ نَفْـــسٍ مِنْهَـــا ابْتِهَـــالٌ وَسُـــؤْلٌ وَدُعَـــاءٌ وَرَغْبَـــةٌ وَابْتِغَـــاءُ[314]
وَزَفِيـــرٌ تَظُـــنُّ مِنْـــهُ صُـــدُوراً صَـــادِحَاتٍ يَعْتَـــادُهُنَّ زُقَـــاءُ[315]
وَبُكَـــاءٌ يُغْرِيـــهِ بِـــالْعَيْنِ مَـــدٌّ وَنَحِيـــبٌ يَحُثُّـــهُ اسْـــتِعْلاَءُ[316]
وَجُـــسُومٌ كَأَنَّمَـــا رَحَـــضَتْهَا مِـــنْ عَظِـــيمِ الْمَهَابَـــةِ الرُّحَـــضَاءُ[317]
وَوُجُـــوهٌ كَأَنَّمَـــا ألْبَـــسَتْهَا مِـــنْ حَيَـــاءٍ ألْوَانَهَـــا الْحِرْبَـــاءُ[318]
وَدُمُـــوعٌ كَأَنَّمَـــا أرْسَـــلَتْهَا مِـــنْ جُفُـــونٍ سَـــحَابَةٌ وَطْفَـــاءُ[319]

المواجهة الشريفة

فَحَطَطْنَـــا الرِّحَـــالَ حَيْـــثُ يُحَـــطُّ الْـــوِزْرُ عَنَّـــا وَتُرفَـــعُ الْحَوْجَـــاءُ[320]

(313-319) كما يرى المخاطب أن الزائرين للمدينة المنورة رغم شدة السفر كأنهم ما مستهم البأساء ولا الضراء. وأتى بعد ذلك بوصف ما يعتري القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب.
فلنفوس القادمين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ابتهال أي تضرع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورغبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النفوس زفير من شدة الخشية وعظيم المهابة ولشدة ذلك الزفير كأنه زقاء، ومن شدة الشوق أسبلت العُيون الدموع الغزيرة لهيبة المثول بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، ومدّ البكاءَ سيل من الدموع وحث النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء. وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت جُسوم القادمين من كثرة الرُّحَضَاءِ، وهو العرق أثر الحُمى –كأنه غسلها، ولعظمة الموقف تغيرت الوجوه حياء كأنما ألبستها الحرباء ألوانها ولجلال الموقف تهاطلت الدموع بسبب الأسباب الباعثة على البكاء، وقد شبه هذه الأسباب بالسحابة الدائمة السح.

(320-325) ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشريفة فابتدأ بأنه حطّ رحله في المدينة المنورة حيث يحطّ القاصد ذنوبه ويرفع سائلاً حاجته ثم وصف موقفه في المواجهة النبوية بأنه أقرأ السّلام أكرم الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم حيث إن إقراء السّلام عند قبره يُسمع كما جاء في الحديث: "ما من أحد يسلم عند قبري إلا رد الله تعالى علي روحي حتى أرد عليه السلام" (روى هذا الحديث أبو داود=

وَقَرَأْنَــــا الــــسَّلاَمَ أَكْـــرَمَ خَلْـــقِ اللهِ مِـــنْ حَيْـــثُ يُـــسْمَعُ الإِقْــرَاءُ(321)

وَذَهِلْنَـــا عِنْـــدَ اللِّقَـــاءِ وَكَـــمْ أَذْ هَـــلَ صَـــبّاً مِـــنَ الْحَبِيـــبِ لِقَـــاءُ(322)

وَوَجَمْنَـــا مِـــنَ الْمَهَابَـــةِ حَتَّـــى لاَ كَـــلاَمٌ مِنَّـــا وَلاَ إِيمَـــاءُ(323)

وَرَجَعْنَـــا وَلِلْقُلُـــوبِ الْتِفَاتَـــا تٌ إِلَيْـــهِ وَلِلْجُـــسُومِ انْثِنَـــاءُ(324)

وَسَـــمَحْنَا بِمَـــا نُحِـــبُّ وَقَـــدْ يَـــسْـــمَحُ عِنْـــدَ الـــضَّرُورَةِ الْـــبُخَلاَءُ(325)

استعطافه صلى الله عليه وآله وسلم

يَـــا أَبَـــا الْقَاسِـــمِ الَّـــذِي ضِـــمْنُ إِقْـــسَا مِـــي عَلَيْـــهِ مَـــدْحٌ لَـــهُ وَثَنَـــاءُ(326)

بِـــالْعُلُومِ الَّتِـــي عَلَيْـــكَ مِـــنَ اللّـــــهِ بِـــلاَ كَاتِـــبٍ لَهَـــا إِمْـــلاَءُ(327)

وَمَـــسِيرِ الـــصَّبَا بِنَـــصْرِكَ شَـــهْراً فَكَـــأَنَّ الـــصَّبَا لَـــدَيْكَ رُخَـــاءُ(328)

وَعَلِـــيٍّ لَمَّـــا تَفَلْـــتَ بِعَيْنَيْـــــهِ وَكِلْتَاهُمَـــا مَعـــاً رَمْـــدَاءُ(329)

فَغَـــدَا نَـــاظِراً بِعَيْنَـــيْ عُقَـــابٍ فِـــي غَـــزَاةٍ لَهَـــا الْعُقَـــابُ لِـــوَاءُ(330)

= في جامعه والسيوطي في الجامع الصغير، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن رده عليه الصلاة والسلام إذا كان المسلم بالقرب لأن الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري، بل لفظه: ما من أحد يسلم عليَّ.)، ولما استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشريفة، وهذا شأن الصب عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثم لمّا عزم على القفول من الزّيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة، ولجسمه انعطاف إليها.

وختم وصفه لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سمح لنفسه بفراق ما يحب من الوقوف في المواجهة الشريفة وإن كانت نفسه بخيلة بها لكن قد يسمح البخيل عند الضرورة، والضرورة الداعية إلى الرجوع القيام بالشؤون الملقاة على الإنسان.

(326-330) لما تمم مقصد الزيارة المشرفة شرع في مقصد آخر وهو التضرع والابتهال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبدا ذلك بمناداته عليه الصلاة والسلام بكنيته وهو: أبو القاسم ذاكراً إن اقساماته الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والثناء عليه، وجواب الاقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتاً وهو قوله (380- الأمان الأمان إن فؤادي..البيت).

واستعطاف الناظم ليفوز في الدنيا والآخرة وليأمن من المحن.أقسم أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أن هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له.وأقسم ثانياً بمسير الصّبا بنصره صلى الله عليه وآله وسلم والصبا هي الريح التي مهبها من مطلع الشمس ونصر بها صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وأقسم ثالثاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنه لما كان الرمد بعينيه تفل فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعادتا صحيحتين وأصبح نظره كنظر العقاب وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية التي تسمى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة.

الإقسام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآله

وَبِرَيْحَـــــــانَتَيْنِ طِيبُهُمَـــــــا مِنْـــــــ ـــــكَ الـــذِي أودِعَتْهُمَـــا الزَّهْـــرَاءُ[331]
كُنْـــتَ تُؤْوِيهِمَـــا إلَيْـــكَ كَمَـــا آ وَتْ مِـــنَ الْخَـــطِّ نُقْطَتَيْهَـــا الْيَـــاءُ[332]
مِـــنْ شَـــهِيدَيْنِ لَـــيْسَ يُنْـــسِينِيَ الـــطَّ ـــفُّ مُـــصَابَيْهِمَا وَلاَ كَـــرْبَلاَءُ[333]
مَـــا رَعَـــى فِيهِمَـــا ذِمَامَـــكَ مَـــرْءُو سٌ وَقَـــدْ خَـــانَ عَهْـــدَكَ الرُّؤَسَـــاءُ[334]

(331-345) إقسامه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالحسن والحسين، وعبر عنهما بالريحانتين اقتباساً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هما ريحانتاي من الدنيا" رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أودع في فاطمة الزهراء

وأفاد بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضمهما لمحبته إياهما كما تضم الياء نقطتيهما.

بين أنّ الريحانتين شهيدان ليس ينسيه في مصابهما الطَّفُّ ولا كربلاء وهما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنه أنه مات مسموماً سنة خمسين سمه يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأما شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة.

لم يراع في الريحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهما حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرؤوسون ولا الرؤساء وخانوا العهد.

ذكر أن المكرة بالشهيدين أبدلوا الحمية في نصر القربى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قرابته بالبغض وعدم النصرة وخالفوا قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" (الشورى: آية23)، وشبه المكرة بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باليرابيع في المكر، والنافقاء: إحدى حجرتي اليربوع التي يخفيها وذكر أن قلوب هؤلاء المَكرة قست على قرابته صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكت الأرض والسماء فقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسنين الشهيدين، والبكاء قليل في عظيم المصاب.

ذكر الناظم أنه ازداد كربه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادي أهل بيت النبي وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبراً بأن فؤاده ليس ينسيه مصابهم حصول الشدائد. واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك.

ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فنزعوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعادي من القتل بالسيوف والرماح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالزق الذي حل وكاؤه، والوكاء ما يشد به رأس الزق.

وخاطب آل البيت بأنهم طابوا أصولاً ونفوساً وأفعالاً وأقوالاً وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعداد المحاسن بعد الموت.

وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي(54هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينافح عنه أي يدافع.

وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد يعدها بعضهم من الصحابيات كانت من أشعر الناس وتوفيت سنة (24هـ).

وختم توجهه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيهم: بأنهم سادوا الناس بالتقى بعد النسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فإنما سودتهم البيضاء أي الفضة والصفراء أي الذهب.

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْقُرْ   بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ[335]

وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ   بَكَتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ[336]

فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلاً   فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابُ الْبُكَاءُ[337]

كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي   مِنْهُمُ كَرْبَلاَ وَعَاشُورَاءُ[338]

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي   لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ[339]

غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللـ   ـهِ وَتَفْوِيضِيَ الأُمُورَ بَرَاءُ[340]

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ   خَفَّفَتْ بَعْضَ وِزْرِهِ الزَّوْرَاءُ[341]

وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ   مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ[342]

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْـ   ـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ[343]

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحْـ   ـتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ[344]

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ   سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ[345]

الإقسام بالصحابة الكرام

وَبِأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمْ بَعْـ   ـدَكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالأَوْصِيَاءُ[346]

(346-354) أقسم بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بعده هداة في الناس وأوصياء بأمور الدين، فجاهدوا وساسوا الآمة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثم تبعهم التابعون، وكل إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثم وصف الصحابة بأنهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بظواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوهم من علومه صلى الله عليه وآله وسلم، أيمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثم وصف الصحابة الكرام بأنهم زهدوا في الدنيا ما لها وجاهها فما عُرف منهم ميل إلى الدنيا ولا رغبة فيها.

ثم وصف الصحابة بأنهم في الوغى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم، وأسلاب هؤلاء الملوك غالية السعر.

وانتقل إلى وصف علمهم الجم بأنهم كلهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحبة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأن أفضل الناس بعد الأنبياء: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وخيرهم من ولي الخلافة   وأمرهم في الفضل كالخلافة

يليهم قوم كرام بررة   عدتهم ست تمام العشرة

فأهل بدر العظيم الشأن   فأهل أحد فبيعة الرضوان

والصحابة رضوان الله عليهم رضي الله عنهم أي أمنهم من سخطه وأحلهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

أَحْــــسَنُوا بَعْـــدَكَ الْخِلاَفَـــةَ فِـــي الدِّيـــــــنِ وَكُـــــلٌ لِمَــــا تَـــوَلَّى إِزَاءُ(347)

أَغْنِيَــــــاءٌ نَزَاهَـــــــةً فُقَــــرَاءُ عُلَمَـــــاءٌ أَيِمَّـــــةٌ أُمَـــــرَاءُ(348)

زَهِــدُوا فِـــي الــدُّنَا فَمَــا عُـــرِفَ الْميْـــــلُ إِلَيْهَـــا مِـــنْهُمْ وَلاَ الرَّغْبَـــاءُ(349)

أَرْخَــصُوا فِــي الْـوَغَى نُفُــوسَ مُلُــوكٍ حَارَبُوهَـــا أَسْـــلاَبُهَا إِغْـــلاَءُ(350)

كُلُّهُـــمْ فِـــي أَحْكَامِــــهِ ذُو اجْتِهَـــادٍ وَصَـــــوَابٍ وَكُلُّهُـــــمْ أَكْفَـــاءُ(351)

رَضِـــيَ اللهُ عَـــنْهُمُ وَرَضُـــوا عَنْـــــهُ فَـــأَنَّى يَخْطُـــو إِلَـــيْهِمْ خَطَـــاءُ(352)

جَـــاءَ قَـــوْمٌ مِـــنْ بَعْـــدِ قَـــوْمٍ بِحَـــقٍّ وَعَلَـــى الْمَـــنْهَجِ الْحَنِيفِـــيِّ جَـــاءُوا(353)

مَــــا لِمُوسَـــــى وَلاَ لِعِيـــسَى حَـــوَارِ يُّـــونَ فِـــي فَـــضْلِهِمْ وَلاَ نُقَبَـــاءُ(354)

بِـــأَبِي بَكْـــرِ الـــذِي صَـــحَّ لِلنَّـــاسِ بِـــهِ فِـــي حَيَاتِـــكَ الإِقْتِـــدَاءُ(355)

وَالْمُهَــــدِّي يَـــوْمَ الــــسَّقِيفَةِ لَمَّــــا أَرْجَـــفَ النَّـــاسُ إِنَّـــهُ الـــدَّأْدَاءُ(356)

أَنْقَـــذَ الـــدِّينَ بَعْـــدَ مَـــا كَـــانَ لِلدِّيـــــنِ عَلَـــى كُـــلِّ كُرْبَـــةٍ إِشْـــفَاءُ(357)

وقوله (وجاء قومٌ من بعد قومٍ) البيت: أي أن الصحابة في إسلامهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال كونهم قوماً بعد قوم والسابقون السابقون أولئك المقربون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النبوة وكلهم سائرون على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلوا أصحاب موسى وهم النقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الحواريون.

(355-358) لما أقسم بالصحابة كلهم إجمالاً خصص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي قحافة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما نقتطف منها زهرات شذية منها: أنه أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين وقد صح اقتداء الناس به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاقتداء به في الصلاة حين مرض صلى الله عليه وآله وسلم مرض الوفاة حتى أنه لما رآه الرسول الكريم يصلي تبسم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السقيفة إذ كان قوله الفصل المبين للحق في أمر الخلافة، وقد سكن اختلاف الناس في أمرها واضطرابها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان اضطرابهم الشديد في الخلافة كالليلة الدأداء الشديدة الظلمة.

أنقذ وخلص الدين من التّلاشي بعدما حصل له من إشرافه على كل كربة فقد ثبت الناس يوم موته صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع الناس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السقيفة كما تقدم وكذلك في حرب أهل الردة. انفق ماله كله في رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه نزل قوله تعالى:"وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكي" (الليل:الآية17-18) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس أحد من الناس أمنَّ عَلَيَّ بنفسه وماله من أبي بكر"الحديث"، وفضائله متنوعة كثيرة ولا منّ ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13هـ).

أَنْفَــقَ الْمَـــالَ فِـــي رِضَـــاكَ وَلاَ مَـــ ـــنٌّ وَأَعْطَـــى جَمّـــاً وَلاَ إكْـــدَاءُ[358]

وَأَبِـــي حَفْــصٍ الــذِي أَظْهَـــر اللَّـــ ـــهُ بِـــهِ الــدِّينَ فَــارْعَوَى الرُّقَبَــاءُ[359]

والــذِي تَقْــرُبُ الأَبَاعِــدُ فِـــي اللـــ ـــهِ إِلَيْـــهِ وَتَبْعُـــدُ الْقُرَبَـــاءُ[360]

عُمَـــرَ بْـــنِ الْخَطَّــابِ مَـــنْ قَوْلُـــهُ الْفَـصْـ ـلُ وَمَـــنْ حُكْمُـــهُ الـــسَّوِيُّ الـــسَّواءُ[361]

فَـــرَّ مِنْـــهُ الــشَّيْطَانُ إِذْ كَـــانَ فَـــارُو قَـــاً فَلِلنَّـــارِ مِـــنْ سَـــنَاهُ انْبِـــرَاءُ[362]

وَابْـــنِ عَفَّـــانَ ذِي الأَيَـــادِي التِـــي طَـــا لَ إِلَـــى الْمُـــصْطَفَى بِهَـــا الإِسْـــدَاءُ[363]

حَفَـــرَ الْبِئْـــرَ جَهَّـــزَ الْجَـــيْشَ أَهْـــدَى الْهَـــدْيَ لَمَّـــا أَنْ صَـــدَّهُ الأَعْـــدَاءُ[364]

(359-362) وثنى في إقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعز الله تعالى به الإسلام فإنه حين أسلم اظهر إسلامه لأنه لما أسلم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: ففيم الإخفاء فخرج المسلمون في صَفين: عمر في أحدهما وحمزة في الأخر حتى دخل المسلمون المسجد فكربت قريش لذلك فقد كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً وإمامته رحمة، فبإسلامه أنزجر الأعداء المترقبون بالإسلام. وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأباعد إليه لأجل رضا الله تعالى وتبعد القُرباء لآجل ذلك. ثم سماه باسمه فهو عمر بن الخطاب الذي قوله الفصل وهو الحق وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السويّ فقد كان عمر أصلب الناس في دين الله. لما كان فاروقاً فرّ منه الشيطان وقد أطفأ نور النار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يوماً. طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبة سنة (23هـ).

(363-367) وذكر أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان بن عفان الذي أسدى أيادي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت ليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها.

وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرساً وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنة مرتين بحفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وفي غزوة الحديبية نحر هديه بمكة دون غيره فإنهم نحروا هديهم بالحديبية لما صد الأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الحرم وكان ذلك سنة ست من الهجرة.

ولما امسكوا عثمان عندهم لما أرسله الرسول ليكلم أشراف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرسول الكريم من دخول مكة والطواف.

وبسبب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من العداء، وبسبب تأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم الطواف إذ لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم جُوزي حين بيعة الرضوان بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى ويا لها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركاً للعبادة وهي الطواف فإنه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبذا الأدباء.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنه رابع أربعة في الإسلام وزَوجّهُ النبي عليه الصلاة والسلام بابنتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون. وقتل رحمه الله محصوراً بداره سنة (35 هـ).

وَأَبَـــى أَنْ يَطُـــوفَ بِالْبَيْـــتِ إِذْ لَـــمْ   يَـــدْنُ مِنْـــهُ إِلَـــى النَّبِـــيِّ فِنَـــاءُ[365]
فَجَزَتْـــهُ عَنْهَـــا بِبَيْعَـــةِ رِضْـــوَا   نِ يَـــدٌ مِـــنْ نَبِيِّـــهِ بَيْـــضَاءُ[366]
أَدَبٌ عِنْـــدَهُ تَـــضَاعَفَتِ الأَعْـــ   ـــمَالُ بِـــالتَّرْكِ حَبَّـــذَا الأَدَبَـــاءُ[367]
وَعَلِـــيٍّ صِـــنْوِ النَّبِـــيِّ وَمَـــنْ دِيـــ   ـــنُ فُـــؤَادِي وِدَادُهُ وَالْـــوَلاَءُ[368]
وَوَزِيـــرِ ابْـــنِ عَمِّـــهِ فِـــي الْمَعَـــالِي   وَمِـــنَ الأَهْـــلِ تَـــسْعَدُ الْـــوُزَرَاءُ[369]
لَـــمْ يَـــزِدْهُ كَـــشْفُ الْغِطَـــاءِ يَقِينـــاً   بَـــلْ هُـــوَ الـــشَّمْسُ مَـــا عَلَيْـــهِ غِطَـــاءُ[370]

(368-370) وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أُقسم عليك بعلي صنو النبي أي أخيه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينه وبينه وقال له:"أنت أخي في الدنيا والآخرة" رواه الترمذي، والذي هو اعتقاد فؤادي حبه وموالاته ومناصرته، وذكر ذلك الناظم رداً على الخوارج الذين سَبُوهُ واستنقصوه.

وهو وزير ابن عمه أي وزيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثبتت له الوزارة استفادةً من أمور كثيرة تدل على ذلك منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ومؤاخاة النبي له، ومنامه في فراشه لما عزم المشركون قتله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله:(ومن الأهل تسعد الوزراء) تذييل أفاد به ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم به علياً مثل إرساله قاضياً في اليمن.

وأشار بقوله: (لم يزده كشف الغطاء يقينا) إلى قول علي كرم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثم قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه.

وقتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40 هـ).

وَبِبَاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّرْ تِيبَ فِينَا تَفْضِيلُهُمْ وَالْوَلَاءُ[371]

(371- 379) وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنة على حسب مراتبهم التي بينها صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً وترتيباً.

ابتدأ بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التميمي وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطاياه كالسحاب المرسلة وتصدق في يوم بمائة ألف، ولم يجد ثوباً يذهب به إلى المسجد وأشار الناظم إلى موقفه بأحد، فإنه بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووقاه وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36 هـ) يوم الجمل وهو أحد الستة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنه، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية، وأحد الستة من أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36 هـ).

وأشار الناظم إلى أنه والد القرم أي السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73 هـ).

والصفيين تثنية صفي وهو الحبيب المصافي والتوءمان الولدان في بطن واحد، وقصد الناظم أن الفضل توأم بينهما وهما سعد وسعيد.

أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق أحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام وشهد المشاهد كلها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالعقيق سنة (55هـ)، ودفن بالبقيع وهو آخر المهاجرين موتاً.

وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه، توفي سنة (50هـ)، ودفن بالبقيع، وهما إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن عوف رضي الله عنه، وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظا في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه، ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32هـ)، في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاه أبو أبكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة. توفي سنة (18هـ) شهيداً بالطاعون في طاعون عمواس، وأقسم عليه بعميه أي اخوي أبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأنهما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إتاءٌ بوزن كتاب، أي أتاهما منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3هـ)، وهو أسد الله وكان شجاعاً لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام، وتوفي العباس سنة (32هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالبقيع، وصح حديث "العباس مني وأنا منه" وبارك في ذريته فقد ولوا الخلافة طوال مآت السنين وقد استسقى به عمر الغيث، وأقسم بأم السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنها حين تزوجها عليّ (15سنة) وأشهراً، قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيدة نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة إحدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيها وهم الحسن والحسين، ومحسن، وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: "ومن حوته العباءُ" أي ما اشتمل عليه الكساء وهم عليٌ وفاطمة وابناهما. =

طَلْحَـــةِ الْخَيْـــرِ الْمُرْتَـــضِيهِ رَفِيقـــاً وَاحِـــداً يَـــوْمَ فَــرَّتِ الرُّفَقَـــاءُ(372)

وَحَوَارِيِّـــكَ الزُّبَيْـــرِ أَبِـــي الْقَــرْ مِ الـــذِي أَنْجَبَـــتْ بِـــهِ أَسْـــمَاءُ(373)

وَالـــصَّفِيَّيْنِ تَـــوْأَمِ الْفَـــضْلِ سَـــعْدٍ وَسَـــعِيدٍ إِنْ عُـــدَّتِ الأَصْـــفِيَاءُ(374)

وَابْـنِ عَـوْفٍ مَـنْ هَوَّنَـتْ نَفْـسُهُ الدُّنْـ يَـــا بِبَـــذْلٍ يُمِـــدُّهُ إِثْـــرَاءُ(375)

وَالْمُكَنَّـــى أَبَـــا عُبَيْـــدَةَ إِذْ يَعْـــ زِي إِلَيْـــهِ الأَمَانَـــةَ الأُمَنَـــاءُ(376)

وَبِعَمَّيْـــكَ نَيِّـــرَيْ فَلَـــكِ الْمَجْـــ ـــدِ وَكُـــلٌّ أَتَـــاهُ مِنْـــكَ إِتَـــاءُ(377)

وَبِـــأُمِّ الـــسِّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِـــيٍّ وَبَنِيهَـــا وَمَـــنْ حَوَتْـــهُ الْعَبَـــاءُ(378)

وَبِأَزْوَاجِـــكَ اللَّـــوَاتِي تَـــشَرَّفْـ ـــنَ بِـــأَنْ صَـــانَهُنَّ مِنْـــكَ بِنَـــاءُ(379)

طلب الأمان للحصول على النجاة

الأَمَـــانَ الأَمَـــانَ إِنَّ فُـــؤَادِي مِـــنْ ذُنُـــوبٍ أَتَيْـــتُهُنَّ هَـــوَاءُ(380)

= وأقسم عليه أخيراً بأزواجه رضي الله عنهن جميعاً اللواتي تشرفن ببناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهنّ وصانهن ذلك، وهن إحدى عشرة متفق عليهن،هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية.

أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زمعة توفيت سنة (54 هـ) ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57 هـ) وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45هـ)، وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (57هـ)، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ)، وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20 هـ)، وزينب خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر، وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ)، وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ)، وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).

(380-420) هذا مبدأ جواب الإقسامات السابقة التي ابتدأها بقوله:

يــا أبــا القاســم الــذي ضــمن إقســا مــي عليــه مــدح لــه وثنــاء

إلى ما قبل البيت هذا:

وبأزواجـــك اللـــواتي تـــشرف ن بـــأن صـــانهن منـــك بنـــاء

وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أنِلنا الأمان أو أمّنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرتُ في الأبيات السالفة أن تنيلني الأمان من ذنوب لأن قوله: (من ذنوب أتيتها هواء) أي فارغ تعليل.

وبعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمسكاً بالحبل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك، جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمسه السوء فلذلك قال الناظم: (وأبى الله أن يمسني السوء) البيت، إن معشر المحبين وخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونه ويأملون فيه للأمور العظيمة التي أضعفها في=

= القلوب رمضاء: أي نار تتقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: (وأتينا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهازيل فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها الغِنَى ركائب أجهدها طول السير اغتناماً للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم، واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يديك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه بمراده قائلاً: (يا من هو المغيث للمكروبين) والغيث والمطر للقاحطين إذا ضَيَّقَ على الخلق الجدب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو: (يا رحيما...الخ) يتضمن غاية الاستعطاف طلباً للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: " يا شفيعاً في المذنبين في الوقت الشديد الذي فيه البرءاءُ، يشفقون من مناقشة الحساب لأن الخوف يعم حتى من لا ذنب له".

وسأل الناظم الجود للعاصي بالشفاعة من كامل الرحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضح أنه العاصي، وإنما تنكر ولم يصرح باسمه استحياء.

تداركه أي العاصي بحق حرمتك مادام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكنى به بأنه أخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفقه في وجوه الخير عما قدمه الصالحون من الأعمال الصالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات.

وبأنه في كل يوم وليلى معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار وأنفاسه صعداء أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطعام والشراب وذلك من الأسباب المبطئة للسير المعنوي والقلبي لأن البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدار دار الدنيا التي فيها البطان - جمع بطين- بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين.

وبأنه بكى ذنبه مع يبس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك القساوة القلبية مكاء أي كالصفير وبأن ذلك العاصي صار يعتب القضاء ويلومه ولا عذر لعاص يحتج بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسببات، وإن كان كل شيء بقضاء الله تعالى فلا بد من رعاية المقامين.

وقال الإمام الغزالي: إن من جملة القضاء الدعاء لرد البلاء.

وهذا العاصي أوثقته ديون بسبب ذنوب متراكمة عليه فحبسته في الدنيا كما أن ديون الآخرة بسبب التفريط في حقوق الله أثقلته وأوثقته.

فما له حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التخلص إلا مثل حيلة الموثق أي الأسير، إما التوسل إلى الله تعالى أو الدعاء إليه.

وحال العاصي أنه راج لله تعالى مؤمل منه أن تصير أعمال السوء أي السيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راج كذلك أن تصير سيئاته حسنات، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خَلاً وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيئاً أصبح حسنات، يا حبيب الله كل ما تهتم به يتحول من صفة إلى أخرى يتعجب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفاً.

ثم شبه إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذباً فراتاً.

وتوجع الناظم من حاله التي جرت له الذنوب قائلاً: (آه) إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا آملُ بحسن ظني توبة نصوحاً والحال أن في القلب نفاقاً وفي اللسان رياءً ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها.

وكذلك حالي تجعلني أتعجب من أني أتوب لأن جسمي في اعوجاج وانحناء من كبر سني لأن المرء على ما جُبِلَ عليه فذكر أنه إنما أخر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي اختلط سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع أثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضاً واسعة.

وبسبب اختلاف الحالين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون إدلاجهم أي سيرهم ليلاً كنّى بذلك عن سبقهم في الطاعات ويكفي المتخلف عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

قَـــدْ تَمَـــسَّكْتُ مِـــنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْـــــلِ الـــذِي اسْتَمْـسَكَتْ بِـهِ الـشُّفَعَاءُ(381)
وَأَبَـــــى اللهُ أَنْ يَمَـــــسَّنِيَ الــــسُّوءُ بِحَـــالٍ وَلِـــي إِلَيْـــكَ الْتِجَـــاءُ(382)
قَـــدْ رَجَوْنَـــاكَ لِلأُمُـــورِ الَتِـــي أَبْـــرَدُهَـــا فِـــي فُؤَادِنَـــا رَمْـــضَاءُ(383)
وَأَتَيْنَـــا إِلَيْـــكَ أَنْـــضَاءَ فَقْـــرٍ حَمَلَتْنَـــا إِلَـــى الْغِنَـــا أَنْـــضَاءُ(384)
وَانْطَـوَتْ فِـي الـصُّدُورِ حَاجَـاتُ نَفْـسٍ مَـا لَهَـا عَـنْ نَـدَى يَـدَيْكَ انْطِـوَاءُ(385)
فَأَغِثْنَـا يَـا مَـنْ هُـوَ الْغَـوْثُ وَالْغَيْـــثُ إِذَا أَجْهَـدَ الْـوَرَى اللَّـأْوَاءُ(386)
وَالْجَـــوَادُ الـــذِي بِـــهِ تُفْـــرَجُ الْغُـــمَّـــةُ عَنَّـــا وَتُكْـــشَفُ الْحَوْبَـــاءُ(387)
يَـــا رَحِيمـــاً بِـــالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَـــا ذَهِلَـــتْ عَـــنْ أَبْنَائِهَـــا الرُّحَمَـــاءُ(388)
يَـــا شَـــفِيعاً فِـــي الْمُـــذْنِبِينَ إِذَا أَشْـــفَـــقَ مِـــنْ خَـــوفِ ذَنْبِـــهِ الْبُـــرَآءُ(389)
جُـــدْ لِعَـــاصٍ وَمَـــا سِـــوَايَ هُـــوَ الْعَـــاصِـــي وَلَكِـــنْ تَنْكِيـــرِيَ اسْـــتِحْيَاءُ(390)
وَتَدَارَكْـــــهُ بِالْعِنَايَـــــةِ مَـــــا دَامَ لَـــهُ بِالـــذِّمَامِ مِنْـــكَ ذِمَـــاءُ(391)
أَخَّرَتْـــهُ الأَعْمَـــالُ وَالْمَـــالُ عَمَّـــا قَـــدَّمَ الـــصَّالِحُونَ وَالأَغْنِيَـــاءُ(392)

وإن رحلة المتأخر عن الصالحين من شهواته إلى اللحاق بهم يضعفه عنها الصيف والشتاء فإذا كان الصيف ينوي تأخيرها إلى الشتاء وكذلك العكس.

ثم يقول: ومما أوجب إبطائي عن رحلة اللحاق بالصالحين أن وجهي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، والحال أنه قد صعب عليّ اتقاء حرّ جهنم لأني متلبس بما يؤدي إلى جهنم إلا أن يتغمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعاً مما جنيت فحياتي مكدرة إذ يومي شديد وليلتي درعاء مظلمة.

ولكن خفف أمر هذه الضائقة تذكر رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمام وجهي أين توجهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع ما جنيت أقام الرجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادهما.

وجرد من نفسه صاحباً له والمراد يا نفسي لا تيأس من رحمة الله وإن ضعفت عن الطاعة وانفردت بها الأقوياء.

وعلل رجاء نفسه في الرحمة بأن لله الغفور الرحيم رحمة وأحق الناس بها الضعفاء.

وأبرز رحمة الله بالضعفاء بصورة لطيفة وهي أن العرجاء من الغنم حين يكون الرجوع تسبق وكذلك الضعفاء بسبب رحمة الله.

ومن تعلق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطائع أثمرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.

وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملاً صالحاً خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطاعة لأنه لا ينظر إلى نفسه قوية والفوز بسبب ذلك وذلك مما يضعف ثواب الطائع أو يُحبط عمله إذا كان قوياً.

وخاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كُــلَّ يَــوْمٍ ذُنُوبُــهُ صَــاعِدَاتٌ … وَعَلَيْهَــا أَنْفَاسُــهُ صُعَدَاءُ[393]

أَلِــفَ الْبِطْنَــةَ الْمُبَطِّئَــةَ السَّيْـ … ـرِ بِدَارٍ بِهَا الْبِطَانُ بِطَاءُ[394]

فَبَكَــى ذَنْبَــهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ … نَهَتِ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ[395]

وَغَــدَا يَعْتِبُ الْقَضَاءَ وَلاَ عُذْ … رَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ[396]

أَوْثَقَتْــهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونٌ … شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْغُرَمَاءُ[397]

مَا لَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُو … ثَقِ إِمَّا تَوَسُّلٌ أَوْ دُعَاءُ[398]

رَاجِيــاً أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّو … ءُ بِغُفْرَانِ اللهِ وَهْيَ هَبَاءُ[399]

أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ … فَيُقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ[400]

كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقْلَبُ الأَعْـ … ـيَانُ فِيهِ وَتَعْجَبُ الْبُصَرَاءُ[401]

رُبَّ عَيْنٍ تَفَلْتَ فِي مَاءِهَا الْمِلْـ … ـحِ فَأَضْحَى وَهْوَ الْفُرَاتُ الرَّوَاءُ[402]

آهِ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي … أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ[403]

أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْـ … ـبِ نِفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءُ[404]

وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجِسْـ … ـمِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كِبْرَتِي وَانْحِنَاءُ[405]

كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْـ … ـقَظْتُ إِلاَّ وَلِمَّتِي شَمْطَاءُ[406]

وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَثَرَ الْقَوْ … مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ[407]

فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهْوَ أَمَامِي … سُبُلٌ وَعْرَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ[408]

حَمِدَ الْمُدْلِجُونَ غِبَّ سُرَاهُمْ … وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الإِبْطَاءُ[409]

رِحْلَةٌ لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْـ … ـفُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ[410]

يَتَّقِي حُرُّ وَجْهِيَ الْحَرَّ وَالْبَرْ … دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظَى الإِتِّقَاءُ[411]

ضِقْتُ ذَرْعاً مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي … قَمْطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ[412]

وَتَـــــذَكَّرْتُ رَحْمَـــــــةَ اللهِ فَالْبِـــــــشْـ ـــرُ لِـــوَجْهِي أَنَّـــى انْتَحَـــى تِلْقَـــاءُ(413)
فَـــأَلَحَّ الرَّجَـــاءُ وَالْخَـــوْفُ بِالْقَلْـــ ـبِ وَلِلْخَـــوْفِ وَالرَّجَـــا إِحْفَـــاءُ(414)
صَـــاحِ لاَ تَـــأْسَ إِنْ ضَـــعُفْتَ عَـــنِ الطَّـــا عَـــةِ وَاسْـــتَأْثَرَتْ بِهَـــا الأَقْوِيَـــاءُ(415)
إِنَّ للهِ رَحْمَـــــــــــــــةً وَأَحَـــــــــــقُّ النَّـــاسِ مِنْـــهُ بِالرَّحْمَـــةِ الـــضُّعَفَاءُ(416)
فَـــابْقَ فِـــي الْعُـــرْجِ عِنْـــدَ مُنْقَلَـــبِ الـــذَّوْ دِ فَفِـــي الْعَـــوْدِ تَـــسْبِقُ الْعَرْجَـــاءُ(417)
لاَ تَقُـــــلْ حَاسِـــــداً لِغَيْـــــرِكَ هَـــــذَا أَثْمَـــرَتْ نَخْلُـــهُ وَنَخْلِـــي عَفَـــاءُ(418)
وَأْتِ بِالْمُـــسْتَطَاعِ مِـــنْ عَمَـــلِ الْبِـــ ـــرِّ فَقَـــدْ يُـــسْقِطُ الثِّمَـــارَ الأَتَـــاءُ(419)
وَبِحُـــبِّ النَّبِـــيِّ فَـــابْغِ رِضَـــا اللّـــ ـــهِ فَفِـــي حُبِّـــهِ الرِّضَـــا وَالْحِبَـــاءُ(420)

الضراعة وإظهار التحسر

يَـــا نَبِـــيَّ الْهُـــدَى اِسْـــتِغَاثَةَ مَلْهُـــو فٍ أَضَـــرَّتْ بِحَالِـــهِ الْحَوْبَـــاءُ(421)
يَـــدَّعِي الْحُـــبَّ وَهْـــوَ يَـــأْمُرُ بِالـــسُّو ءِ وَمَـــنْ لِـــي أَنْ تَـــصْدُقَ الرَّغْبَـــاءُ(422)
أَيُّ حُـــــبٍّ يَـــــصِحُّ مِنْـــــهُ وَطَرْفِـــــي لِلْكَـــرَى وَاصِـــلٌ وَطَيْفُـــكَ رَاءُ(423)
لَيْـــتَ شِـــعْرِي أَذَاكَ مِـــنْ عُظْـــمِ ذَنْـــبٍ أَمْ حُظُـــــوظُ الْمُتَيَّمِـــــينَ حُظَـــــاءُ(424)
إِنْ يَكُـــنْ عُظْـــمُ زَلَّتِـــي حُجْـــبَ رُؤْيَـــا كَ فَقَـــدْ عَـــزَّ دَاءَ قَلْبِـــي الـــدَّوَاءُ(425)

(421-427) ثم تضرع إلى الله مستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطر أشد الاضطرار بسبب ضعف همته.

ذكر الناظم أنه يدعي الحب لله ولرسوله والحال أنه يأمر بالإثم وتمنى أن يصدق في دعواه محبتهما مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيمتي.

ثم إن إدعاء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصح لأن طرفي واصل للكرى - أي النوم- وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الراء عن واصل بن عطاء لأنه كان ألثغ اللسان.

أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلبي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتيمين -أي المحبين- متفاوته؟ إن يكن الذي حجب رؤياك في المنام عظيم ذنبي فقد قل بل عدم الدواء الذي يكون به الشفاء.

بعد ذكره التردد في وجود المحبة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى أن يصدأ بسبب الذنب قلب المحب والحال أن ذكره - أي ذلك المحبوب- جلاءٌ لقلبه.

أبدى أنه ظفر بسبب حجب الرؤية وهي عظيم الذنب فنادى بأن علته هذه وهي حجب الرؤية والحال أن طبيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلة فرغب منه أن يعجل له بالشفاء.

كَيْـــفَ يَـــصْدَا بِالـــذَّنْبِ قَلْـــبُ مُحِـــبٍّ وَلَـــهُ ذِكْـــرُكَ الْجَمِيـــلُ جِـــلاَءُ(426)

هَـــذِهِ عِلَّتِـــي وَأَنْـــتَ طَبِيبِـــي لَـيْسَ يَخْفَـى عَلَيْـكَ فِـي الْقَلْـبِ دَاءُ(427)

باعث مدحه

وَمِـــنَ الْفَـــوْزِ أَنْ أَبُثَّـــكَ شَـــكْوَى هِــيَ شَــكْوَى إِلَيْــكَ وَهْــيَ اقْتِــضَاءُ(428)

ضُـــمِّنَتْهَا مَـــدَائِحٌ مُـــسْتَطَابٌ فِيــكَ مِنْهَــا الْمَــدِيحُ وَالإِصْــغَاءُ(429)

قَلَّمَـــا حَاوَلَـــتْ مَـــدِيحَكَ إِلاَّ سَـــاعَدَتْهَا مِـــيمٌ وَدَالٌ وَحَـــاءُ(430)

حَـــقَّ لِـــي فِيـــكَ أَنْ أُسَـــاجِلَ قَوْمـــاً سَـــلَّمَتْ مِـــنْهُمُ لِـــدَلْوِي الـــدِّلاَءُ(431)

(428-443) ولما أن كان طبيبه خير الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إليه قصته قال: إن من الفوز والنجاة أن أبثك الشكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه.

وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب ضُمنت مدائح مستطاب مديحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زيّنتها.

وقلّ أن يستصعب عليّ مديحك إذا أردته فكلما توجهت بشكواي إلا تهيأت لي الأسباب.

وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وآله وسلم حُقَ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشعراء المادحين له عليه الصلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم لدلوي أي أفوز عليهم.

لفرط محبة الناظم ذكر أن له حمية أي غيرة تدعوه لأن يحب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المديح النبوي.

ثم أضاف علة أخرى علاوةً على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبة قلبه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذه المحبة لولاها لما تميز على المادحين غيره وهي التي يلذ لها مدحك لعلمها أن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرح التام بسبب صدق محبتي فيك يا رسول الله صلى الله عليك وآلك وسلم أثِب خاطري أي قريحتي الشعرية التي يلذ لها مدحك لعلمها بأنه اللألاء أي الفرح التام أو المضيء المشرق.

ثم شبه شعره بالبرد -أي الثياب الرفيعة- فقال: حاكت قريحتي أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسج.

ومدح قصيدته الهمزية هذه ذاكراً أن نظمها فاق الدر النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريحتان الماهرة والغبية ثم قال: إقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضاد دون غيرهم من الأمم.

استفهم بقوله: أأوفيك مدحاً بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة لمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدحي أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المادحين له، وساء ظن الأغبياء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور مني أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غبطتها أي تمنت الأنبياء أن يكونوا مثلها.

ومما انفردت به الأمة الإسلامية الصادقة أنها لا تخشى الضلال لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أنها فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالناس مع وجودهم آمنون.

وبسبب أن في هذه الأمة وارثي هديك إنقضت آي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة.

والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعاً.

إنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَاحَمَتْنِي ... فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعَرَاءُ(432)

وَلِقَلْبِي فِيكَ الْغُلُوُّ وَأَنَّى ... لِلِسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَوَاءُ(433)

فَأَثِبْ خَاطِراً يَلَذُّ لَهُ مَدْ ... حُكَ عِلْماً بِأَنَّهُ اللَّأْلاءُ(434)

حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُوداً ... لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشْيَهَا صَنْعَاءُ(435)

أَعْجَزَ الدُّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيـ ... ـهِ الْيَدَانِ الصَّنَّاعُ وَالْخَرْقَاءُ(436)

فَارْضَهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّا ... دَ فَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ(437)

أَبِذِكْرِ الآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحاً ... أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ(438)

أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ ... سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِيَ الأَغْبِيَاءُ(439)

وَلَكَ الأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتْهَا ... بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الأَنْبِيَاءُ(440)

لَمْ نَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلاَلَ وَفِينَا ... وَارِثُو نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ(441)

فَانْقَضَتْ آيُ الأَنْبِيَاءِ وَآيَا ... تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ(442)

وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمُ مُعْجِزَاتٌ ... حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الأَوْلِيَاءُ(443)

العجز عن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم

إنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْـ ... ـفِكَ إِذْ لاَ يَحُدُّهُ الإِحْصَاءُ(443)

كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلاَمُ سَجَايَا ... كَ وَهَلْ تَنْزِحُ الْبِحَارَ الرِّكَاءُ(444)

لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لِوَصْفِكَ أَبْغِيـ ... ـهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَانْتِهَاءُ(445)

(444-449) من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحد ولا تحصى.

كيف يمكن للواصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألفاظ المادحين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر.

وضح الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبغيها مادح خلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بياناً بأن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الهمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها.

وإنما أطلت لا لقصد الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمآن لإسماع تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

إِنَّمَـــا فَـــضْلُكَ الزَّمَـــانُ وَآيَـــا ـ ـــتُـــكَ فِيمَـــا نَعُـــدُّهُ الآنَـــاءُ(446)

لَـمْ أُطِـلْ فِـي تَعْـدَادِ مَـدْحِكَ نُطْقِـي ـ وَمُـــرَادِي بِـــذَلِكَ اسْتِقْـــصَاءُ(447)

غَيْـرَ أَنِّــي ضَـمْآنُ وَجْـدٍ وَمَـا لِـي ـ بِقَلِيـــلٍ مِـــنَ الْـــوُرُودِ ارْتِـــوَاءُ(448)

التسليم على خير البرية

فَـــسَلاَمٌ عَلَيْـــكَ تَتْـــرَى مِـــنَ اللَّـــ ـ ـــهِ وَتَبْقَـــى بِـــهِ لَـــكَ الْبَـــأْوَاءُ(449)

وَسَـــلاَمٌ عَلَيْـــكَ مِنْـــكَ فَمَـــا غَيْـــ ـ ـــرُكَ مِنْـــهُ لَـــكَ الـــسَّلاَمُ كَفَـــاءُ(450)

وَسَـــلاَمٌ مِـــنْ كُـــلِّ مَـــا خَلَـــقَ اللَّـــ ـ ـــهُ لِتَحْيَـــا بِـــذِكْرِكَ الأَمْـــلاَءُ(451)

وَصَـــلاَةٌ كَالْمِـــسْكِ تَحْمِلُـــهُ مِـــ ـ ـــنِّي شَـــمَالٌ إِلَيْـــكَ أَوْ نَكْبَـــاءُ(452)

وَسَـــلاَمٌ عَلَـــى ضَـــرِيحِكَ تَخْـــضَ ـ ـــلُّ بِـــهِ مِنْـــهُ تُرْبَـــةٌ وَعْـــسَاءُ(453)

وَثَنَـــاءٌ قَـــدَّمْتُ بَـــيْنَ يَـــدَيْ نَجْـــ ـ ـوَايَ إِذْ لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــدَيَّ ثَـــرَاءٌ(454)

مَـــا أَقَـــامَ الـــصَّلاَةَ مَـــنْ عَبَـــدَ اللَّـــ ـ ـــهَ وَقَامَـــتْ بِرَبِّهَـــا الأَشْـــيَاءُ(455)

(450-456) ثم شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصلاة والسلام فقال: سلامٌ عظيمٌ عليك من الله يتكرر ويتبع بعضه بعضاً ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثنى بسلامة صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه، وهذا السلام هو المكافئ لحضرتك أما سلامٌ من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك.

ثم قال: عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة- جمع ملأ، وهو الجماعة.

وأتى بعد السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وهذه الصلاة من الله ومنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحمله من الناظم الريح الشمالية إلى الرسول الكريم، والريح النكباء وهي ريح الصبا.

ثم سلم على قبره المكرم الذي ضم أعضاءه الشريفة بسلامٍ تخضل أي: تبتل به من القبر المكرم تربة وعساء أي: لينة.

ثم ذكر أن ثناءه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصيدة بين يدي نجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كل مأموله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنه لا ثراء له.

وختم بقوله: أدام الله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم أبداً ما صلى لله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدينوية والأخروية وهي لا انتهاء لها.